

المؤلف

يزن أحمد عبده

تقديم

أ.د. مروان القيسي

الطبعة الأولى - ٢٠٠٥



الرقم الدولي: ISBN: 9957-29-015-0

رقم الإيداع: ٢٠٠٥/٣/٦٥٩

العنوان: تعلم الحياة مع قصص سورة الكهف

تأليف: يزن أحمد عبده

الصف والإخراج: ابن مقلة - عمان - الأردن

+ ٩٦٢ ٧٧٣٧٢٤٠٣

تصميم الغلاف: دار الفن - عمان - الأردن

+ ٩٦٢ ٦ ٥٦٥٨٧٨٧

عدد الصفحات: ١٦٨

القياس: ١٧ * ٢٤

دار العلوم للنشر والتوزيع

العبدلي - مقابل البنك العربي

تلفاكس: ٥٦٦٤٣٢٨ - ٥٦٢٧٨٢٨ (٦ ٩٦٢ +)

ص.ب ٩٢٥٠٣٢ عمان ١١١٩٠

عمان - الأردن

aloloum@hotmail.com

تنفيذ وطباعة الرجي بيروت - لبنان - تلفاكس: ٢٧٢٢٢٥ ١ ٠٠٩٦١١ خليوي: ٣٣٤٦٤٨-٣١٢١٢٤ / ٠٠٩٦١٣

الإهداء

أقف متأملاً الأيام التي تمضي لتسجل على جدار عمري ذكريات ..

وأقف مُجلاً لجهد أياديكم الذي يسطّر على صفحاتي مستقبل ..

أمي وأبي

وأقف تارة أخرى لأرى أيامي معكم تنبض بالحياة ..

زوجتي وأبنائي

لكم جميعاً أهدي عملي هذا ..

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر، وعظيم العرفان، ووافر الامتنان، إلى فضيلة الدكتور: حسين بني خالد والأستاذ الدكتور: محمد الغزاوي؛ لما بذلاه من نصح خالص، ومشورة صادقة، وجهد كبير، وصبر متميز على تلميذهم، الأمر الذي كان له أكبر الأثر في إخراج هذه الرسالة، فالله سبحانه أسأل أن يجزيهما خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لفضيلة الدكتور محمد الملكاوي، والدكتور ماجد الجلاد على تفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإلى كل من أسهم ومد يد العون، سواء بالطباعة أم المراجعة أم التنقيح أم النصيحة أم رفع الهمة لإكمال هذا العمل ..

إلى كل هؤلاء أقدم شكري وتقديري.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا أله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

وبعد، فإن للتربية في حياة الأمم دوراً بالغ الأهمية، إذ يقوم كل ما سواها عليها. والمسلمون ليسوا استثناء من هذا العموم، بل على العكس فإن ماضيهم وما كانوا فيه من عز وسؤدد ورفاهية كان نتيجة طبيعية لما ساد مجتمعاتهم من قيم تربوية إسلامية، وإنَّ حاضرهم ومستقبلهم مرهونان بعودتهم لتلك القيم.

وللتربية الإسلامية مصادرها من القرآن الكريم والسنة النبوية وما جادت به أفكار العلماء والمربين والمفكرين من المسلمين عبر العصور في شتى ديار المسلمين.

ولا ريب أن القرآن الكريم مصدراً للتربية الإسلامية يأتي في المقدمة والأهمية ولهذا أشار النبي ﷺ بقوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، وتعلم القرآن ليس مقصوداً لذاته، بل هو وسيلة لاستنباط الأحكام والقيم وتبيِنها للناس ليفيدوا منها في شتى جوانب حياتهم اليومية، ولا شيء أكثر تحقيقاً لذلك من تدبر القرآن، وفي هذا السياق يأتي هذا العمل المبارك في تدبر سورة عظيمة من سور القرآن الكريم جاءت الأحاديث الصحيحة في فضلها، وهي سورة الكهف.

وقد أخرجه لنا محدد المعالم واضحاً سهلاً، يفيد منه المختص والعامي

على حد سواء طالب علم عرفته منذ عديد من السنين صاحب فكر ورسالة، واستخرج لنا من خلاله مجموعة من القيم التربوية عقدية مثل التسليم لله وربط الأمور كلها بمشيئته، وتوحيده بالطاعة، وأهمية الأدب معه، كما استخرج لنا الباحث أحكاماً اجتماعية من قبيل الوفاء بالعهد والتناصح وآداب التحاور، و آداب الصحبة وآداب التعلم، هذا بالإضافة إلى ما تضمنه البحث من بيان لأمور تتعلق بالدعوة من قبيل فقه الأولويات، والتفاؤل، والثبات، والصبر، هذا بالإضافة إلى جوانب ذات أهمية بالغة في التربية العملية والتربية القيادية.

إن من يقرأ هذا المؤلف يدرك بسهولة أن المؤلف إنما استطاع أن يقدم لنا عملاً سهل الفهم بعيد الغور واضحاً ونافعاً بفضل الله تعالى ثم بوضوح الطريق أمامه وإدراكه لما ينبغي علمه واستيعاب حدوده دونه إطالة مملة ولا أيجاز مخل.

والله تعالى أسأل أن يأخذ بيده لمزيد من البحث والكتابة لما فيه خير المسلمين.

أ.د. مروان القيسي

جامعة اليرموك

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فلقد أحدث التطور المادي و الاتساع الفكري الذي تشهده البشرية انقلاباً حاداً في الموازين، وأصبح الحليم حيراناً من شدة ما يرى من اختلاف في العقائد والتوجهات، وتناقض واسع في نظرة الناس لكثير من القضايا الحياتية، وبات كثير من أنواع الآداب البدهية التي يتعامل بها الناس قد أصابها مسٌّ من الانحراف، بل وأصبح التطبيق العملي والممارسة السلوكية خالية من مبادئها الأصيلة ومستلزماتها التي يجب أن تقوم عليها.

واصبح من الضروري أن يقف المربي المسلم، وقفة المتأمل في هذا الواقع، المتفحص لأركانه، الملم بحقيقة إيجابياته وسلبياته، فيحدد الخبث وأسبابه، ويصف العلاج المناسب، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم.

ولا بد لمن يقوم بهذه المهمة، أن يكون صاحب منهج قويم، يستقي أسس فكره من نبع واحد؛ هو نبع الرحمن، الذي بيَّنه سبحانه في كتابه الذي أنزله على محمد ﷺ، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾[1]،وطلب سبحانه أن لا نلتفت لغير القرآن من

---

(١) سورة الأعراف، الآية: (٥٢).

مناهج وضعية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[1].

وقد أثبت القرآن، قدرته الإعجازية على إثبات الحق وإبطال الباطل، وإخراج الناس من عبودية القيم الدنيوية إلى عبادة الله وحده. مستخدماً لذلك وسائل متعددة، كان من أبرزها القصة القرآنية التي قال سبحانه فيها: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[2] وقال جلّ وعلا: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾[3].

وقد احتوت القصة القرآنية على العديد من الفوائد التربوية التي تدعو الدارسين إلى البحث فيها، علّهم يخرجون بمبادئ وقواعد يسطرونها كي يفيد منها المربون المسلمون، فيرتفعوا بهذا الواقع المظلم إلى نور الإسلام. فهي تُعمّق العقيدة في النفوس وتبصّر العقول وتحيها، وتسمو بهذا الإنسان سمواً روحياً وخلقياً ونفسياً ومادياً، وهي كذلك تبين أن التدين لا ينفصل عن واقع الإنسان، بل هو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً.

علماً أن هذا الكتاب قُدّم لنيل درجة الماجستير في كلية الدراسات الإسلامية في جامعة اليرموك.

المؤلف

يزن أحمد يوسف عبده

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (١٥٣).

(٢) سورة هود، الآية: (١٢٠).

(٣) سورة يوسف، الآية: (١١١).

لطائف سورة الكهف

سورة الكهف في الأحاديث النبوية الشريفة:

ورد ذكر سورة الكهف وقصصها في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة نذكر منها:

أ. ما ورد عن فضل سورة الكهف:

١. ما رواه البخاري في صحيحه عن البراء بن عازب: «قرأ رجل الكهف وفي الدار الدابة فجعلت تنفر، فسلّم، فإذا ضبابة أو سحابة غشيته. فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اقرأ فلان فإنها السكينة نزلت للقرآن أو تنزلت للقرآن»[(١)].

٢. ما رواه مسلم عن أبي الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري: صحيح البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، ج٧، ص٣٢٩، رقم: ٣٦١٤.
وكتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة الكهف، ج١٠، ص٦٩، رقم: ٥٠١١.
ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: نزول السكينة لقراءة القرآن، ج٦، ص٨١، رقم: ٧٩٥.
والترمذي: سنن الترمذي، كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل سورة الكهف، ج٥، ص١٤٨، رقم: ٢٨٨٥.
وأحمد: المسند، ج٤، ص٢٨٤.

(٢) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج٦، ص٩٢، رقم: ٨٠٩. وأبي داود: سنن أبي داود، كتاب، الملاحم، باب: خروج الدجال، ج٢، ص٥٢٠ رقم: ٤٣٢٣.
والترمذي: سنن الترمذي، كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله، باب: ما جاء في فضل سورة الكهف، ج٥، ص١٤٩، رقم: ٢٨٨٦.

٣. ما رواه البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: «في بني إسرائيل والكهف ومريم إنّهن من العتاق الأُوَل، وهنَّ من تِلاَدِي»[١].

٤. ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن سهل بن معاذ عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه، ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والأرض»[٢].

ب. ما ورد عن قصة موسى عليه السلام والرجل الصالح «الخضر»:

روى الإمام البخاري عن ابن عباس ﷺ أنه تمارى هو والحُر بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر، فمرّ بهما أُبي بن كعب، فدعاه ابن عباس، فقال: إني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل موسى السبيل إلى لُقِيّه، هل سمعت النبي ﷺ يذكر شأنه؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى: بلى، عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية. وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه. وكان يتّبع أثر الحوت في البحر فقال لموسى فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: «ومنكم من يرد إلى أرذل العمر»، ج٩، ص٣٠٢، رقم: ٤٧٠٨، وكتاب: تفسير القرآن، باب: «فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى»، ج٩، ص٣٦٣، رقم: ٤٧٣٩، وكتاب: فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، ج١، ص٤٧، رقم: ٤٩٩٤.

والمقصود من العتاق: أي من أول ما نزل من القرآن. وتلادي: أي من قديم ما قرأته.

(٢) أحمد: المسند، ج٣/ ص٤٣٩.

الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، قال ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدا خضراً فكان من شأنـهما الـذي قص الله عز وجل في كتابه»[١].

وروى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنما سمـي الخضر، لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»[٢].

وأخرج البخاري عن أبي بن كعب قال: قـال رسـول الله ﷺ: «موسـى رسول الله، فذكر الحديث، قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صـبراً، كـانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً، قال: لا تؤاخذنـي بمـا نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً، لقيا غلاماً فقتله، فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه»[٣].

المناسبة بين اسم السورة وموضوعاتها:

سورة الكهف «مكية في قـول جميـع المفسـرين، وروي عـن فرقـة أن أوّل السورة نزل بالمدينة إلى قوله: «جُـرزاً» والأول أصـح»[٤]، والنـاظر إلى اسـم

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: العلم، باب: مـا ذكـر في ذهـاب موسـى في البحـر إلى الخضر، ج١، ص٢٢٤، رقم: ٧٤.

ومسلم: صحيح مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر، ج١٥، ص١٣٥، رقـم: ٢٣٨٠. والترمذي: سنن الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله، باب: ومـن سـورة الكهف، ج٥، ص٢٨٩، رقم ٣١٤٩. وأحمد: المسند، ج٥، ص١٢١.

(٢) البخاري: صحيح البخاري، كتاب، أحاديث الأنبياء، بـاب: حديـث الخضـر مـع موسـى، ج٧، ص٩٣، رقم: ٣٤٠٢.

(٣) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الشـروط، بـاب: الشـروط مـع النـاس بـالقول، ج٦، ص٦٧١، رقم: ٢٧٢٨. وقد كانت الأولى خرق السفينة، والثانية قتل الغلام، والثالثـة بنـاء السور.

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٣٤٦.

السورة وموضوعاتها، «يجد بينها مناسبة لطيفة، هي أن الموضوعات المعروضة في هذه السورة الكريمة من تدبرها ولجأ إليها، كانت كالكهف الحصين من الفتن جميعها، وإن كان الكهف الذي لجأ إليه الفتية كهفاً محسوساً ملموساً، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وحفظه وستره، فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة، ولو كانت مثل قطع الليل المظلم»(١).

المناسبة بين افتتاحية السورة وختامها:

كما أن هناك لطائف عديدة بين افتتاحية السورة وختامها، إذ افتتحت السورة ابتداء بالألوهية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾(٢)، وختمت بالربوبية ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾(٣).

أضف إلى ذلك ذكر محمد ﷺ في أولها وآخرها، ففي أولها ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١﴾، وفي ختامها: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾(٤).

كما ذُكرت مهمة هذا النبي الكريم ﷺ ابتداء بقول الله: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢﴾(٥)، وذكرت -كذلك- في ختامها بقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ

---

(١) مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٧٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: (١).

(٣) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

(٤) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

(٥) سورة الكهف، الآية: (٢).

أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾[1].

محاور السورة:

عرضت سورة الكهف لمحاور متعددة، منها ما اهتم بمعالجة موضوعات عقدية وأخرى حياتية، ومنها ما اهتم بإبراز محاور في موضوع الآداب كآداب الصاحب، وآداب الحوار، وآداب العالم والمتعلم، بالإضافة إلى إبرازها لمحاور في التربية العملية، كبعض مبادئ العمل، وبعض مستلزماته، وصفات القائد ومهامه.

سبب النزول:

أما عن سبب نزولها، فقد ذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس قال: «بعثت قريش النضر ابن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة، فقالوا لهم: سلوهم عن محمد وصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله، وقالا: إنكم أهل التوراة، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فرجل متقول فتروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان من نبئه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١١٠).

فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم فإنه متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش، فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور؛ فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد! أخبرنا، فسألوه عما أمروهم به، فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً عما سألتم عنه»، ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام، حتى أرجف أهل مكة، وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً، قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنه من خبر الفتية والرجل الطواف، وقول الله عز وجل ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1]»[2].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: (٨٥).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره عن محمد بن إسحاق، ج:٢، ص٤٠٨.

المعالجة التربوية للقضايا العقدية

إن الناظر في قصص سورة الكهف يجد مدى اهتمامها بمعالجة موضوعات عقدية من خلال ضبطها بموازين عقيدة التوحيد الخالصة.

وتعتبر هذه المعالجة من المرتكزات التي قامت عليها السورة بأكملها: «فتصحيح العقيدة يقرره بدؤها وختامها. في البدء: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّـٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِـَٔابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾[1]، وفي الختام ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[2]. وهكذا يتساوى البدء والختام في إعلان الوحدانية وإنكار الشرك، وإثبات الوحي، والتمييز المطلق بين الذات الإلهية وذوات الحوادث. ويلمس سياق السورة هذا الموضوع مرات كثيرة في صور شتى»[3] بهدف كشف الحقائق أمام عقول الناس، معالجة بذلك ما علق بها من درنات الكفر والشرك والأغلوطات المختلفة حول قضايا العقيدة.

---

(١) سورة الكهف، الآيات: (١-٥).

(٢) سورة الكهف، الآيات: (١٠٩-١١٠).

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:٤، ص:٢٢٥٧.

حقيقة القدر:

يعد الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة، ففي حديث جبريل، حين جاء إلى النبي ﷺ في صورة أعرابي يسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، قال ﷺ عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[١].

وقد وردت العديد من الآيات في كتاب ربنا، مبينة لنا المقصود من القدر كقوله سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[٢] أي «أن الله سبحانه قدر الأشياء، أي علم مقاديرها وأحوالها وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد منها ما سبق في علمه أنه يوجده على نحو ما سبق في علمه، فلا يحدث حدث في العالم العلوي والسفلي إلا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وإرادته دون خلقه، وأن الخلق ليس لهم فيها إلا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة وإضافة، وأن ذلك كله إنما حصل لهم بتيسير الله تعالى وبقدرته وتوفيقه وإلهامه»[٣].
ويؤيد ذلك ما ورد في حديث النبي ﷺ: «قدَّر الله مقادير الخلق قبل أن يخلق الله السموات والأرض بخمسين ألف عام»[٤].

ومن ذلك قول الله سبحانه: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾[٥]. وقوله

---

(١) البخاري: صحيح البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠.
(٢) سورة القمر، الآية: (٤٩).
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ج:١٧، ص:١٤٨.
(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى، رقم ٠٢٦٥٣ و الترمذي: السند، القدر عن رسول الله، ما جاء في الرضا بالقدر، ٠٢١٥٦و أحمد: ٦٥٤٣.
(٥) سورة الحديد، الآية: (٢٢).

سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾[1] وقوله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[2]. وكذلك قوله سبحانه: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[3].

ويظن كثير من الناس أن القدر إنما هو إجبار الله العبد على فعل الفعل، وهذا من الأخطاء المنتشرة، لأن القدر إنما هو إخبار بعلم الله الأزلي للأفعال قبل وقوعها، فالله يعلم، وقد كتب هذا العلم في اللوح المحفوظ.

ومن المعالجات التربوية في هذا الجانب، والتي أظهرتها سورة الكهف بوضوح في قصة موسى ﷺ مع العبد الصالح: «هي إرشاد الناس إلى عدم الاعتراض على قدر الله، وإلى التسليم به في إيمان كامل بالله»[4]، فتصرفات العبد الصالح كانت مليئة بالغرائب -بالنسبة للإنسان العادي أو العقل البشري لأنه لا يدرك المشيئة الإلهية المطلقة، فالله تعالى لم يهب العقل البشري إدراك مشيئته في تسيير الأمور في هذا الكون إلا بقدر ما أعلمنا الله سبحانه وتعالى من نواميس وسنن في هذا الكون- من خرق للسفينة وقتل للغلام وبناء للسور، ولكن وبعد كشف السر ومعرفة الحِكَم لقدر الله، بَطُلَ العجب، وعلمنا أن في ذلك كل الخير، وتعلمنا أن لا نعترض على قدر الله، وأدركنا «وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن كان بعضه لا تظهر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٥٩).

(٢) سورة النمل، الآية: (٧٥).

(٣) سورة الأعلى، الآية: (١-٣).

(٤) البهي، محمد: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص(٣٥).

حكمته للعقول، ولا يفهمه أكثر الناس»[١]، فعلى المسلم أن يطمئن قلبه لقدر الله دون اعتراض ويعلم أن قدر الله أرحم مما يرغب هو بأن يتحقق له. وتمتلئ نفسه بالرضا والتسليم.

وقبل هذا العرض -في هذه القصة- لموضوع وجوب الإيمان والرضا بقدر الله، تطالعنا الآيات في تعقيبها على بعض أحداث قصة الفتية بقولها: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾﴾[٢]، لتعالج القدر من زاوية أخرى، فهي تبين أن كل حركة وكل نأمة، بل كل نفس من أنفاس الحي، مرهون بإرادة الله، وسجف الغيب مسبل يحجب ما وراء اللحظة الحاضرة، وعين الإنسان لا تمتد إلى ما وراء الستر المسدل، وعقله مهما علم قاصر كليل، فلا يقل إنسان: إني فاعل ذلك غداً. وغداً في غيب الله وأستار غيب الله دون العواقب.

الأدب مع الله سبحانه

ومن الموضوعات العقدية التي عالجتها آيات قصص سورة الكهف أدب العبد مع الله سبحانه في أمور متعددة منها:

أولاً: تعليق المشيئة على الله سبحانه:

فقد وجه سبحانه نبيه ﷺ نحو هذا الأدب الذي يظهر حقيقة الإيمان والرضا بقدر الله في قوله: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[٣].

---

(١) النووي، يحيى بن شرف: صحيح مسلم بشرح النووي، ج:١٥، ص٥٢٨، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل الخضر عليه السلام.

(٢) سورة الكهف، الآية: (٢٣).

(٣) سورة الكهف، الآيات: (٢٣-٢٤).

فمن أدب العبد مع الله أن «لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله»[١]، «وفي هذا التأديب لرسول الله ﷺ ما يعظ الجاهل عن التساهل في الأدب فما فوقه مع الله جل جلاله، وقد ذُكر هذا الأدب في ثنايا القصة لتبقى هذه القضية محفورة في الضمير المسلم، منبهة إياه على أن مقام محمد ﷺ مقام العبودية لله، ومقام التأديب مع الله، مع كل ما أنعم الله عليه، فكيف بغيره من خلق الله»[٢].

وتعاود الآيات -في قصة موسى عليه السلام- لفت انتباه المربين نحو إيجاد جيل يعي تعليق المشيئة على الله، من خلال بيان أن ذلك التعليق من أهم آداب طالب العلم، فبعد أن بين الخضر لموسى عليه السلام أنه لن يصبر على تصرفاته؛ وعده موسى عليه السلام بأن يكون من الصابرين، معلقاً إياه على مشيئة الله فقال له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرًا ﴿٦٩﴾﴾[٣]، «وقد أكد الصبر بالتعليق على مشيئة الله، استعانة به وحرصاً على تقدم التيسير تأدباً مع الله»[٤].

والعبد الذي يعلق تحقق الفعل على مشيئة الله، مع الإيمان بمقتضيات هذا التعليق، فإن قلبه يطمئن لما تؤول إليه الأمور، لأنه يعلم أن ما كان إنما هو بمشيئة الحكيم الخبير الذي يعلم السر.

ثانياً: الولاء لله وحده:

ومن الموضوعات العقدية التي عالجتها الآيات والتي تختص بأدب العبد

---

(١) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج:١٥، ص:٢٢٨.

(٢) حوى، سعيد: الأساس في التفسير، ج:٦، ص:٣١٧٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: (٦٩).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج:١٥، ص:٣٧٣. بتصرف يسير.

مع الله سبحانه؛ جعل الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، فقد عقب الله سبحانه بعد قصة صاحب الجنتين بقوله: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[١] «فهذا التعقيب يقدم لنا حقيقة قرآنية صادقة، وقاعدة إيمانية دائمة، أن الله وحده هو الولي، وأن الولاية لا تكون إلا لله، وأن من تولاه الله فهو الفائز، وأن من تخلى عنه الله فهو الخاسر المخذول، وإن عاقبة الولاية لله الفلاح والنجاح والخير، وإن لصاحبها من الله الثواب الجزيل»[٢].

فها هو الغني الكافر جعل ولاءه للدنيا فما زادته غير خسران وحسرة وندامة ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾[٣]. فالمتأمل في هذه القصة، والناظر إلى حقيقة الولاء، سيعلم أن الخير كل الخير في الولاء لله، بتحقيق الطاعة المطلقة له سبحانه في كل جنبات الحياة.

ومن معاني الولاء لله والتي وجهتنا إليها الآيات الكريمة؛ التعاون فيما بيننا على ما يرضي الله، فقال سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[٤]، فهذا التوجيه الرباني يكشف لنا «أن الدعوات لا تقوم إلا بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبتغي وجهه وترجو رضاه»[٥] فهي لم توالِ غيره ولن تتجه لسواه.

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٤٤).

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص(١٤٤).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٤٢).

(٤) سورة الكهف، الآية: (٢٨).

(٥) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:٤، ص٢٢٦٨.

ثالثاً: قدرة الله مطلقة:

ومن الموضوعات العقدية التي صححتها الآيات، فيما يختص بأدب العبد مع الله؛ الاستشعار الحقيقي لقدرة الله، وأنها مطلقة لا يحدها شيء.

وهذه من الموضوعات العقدية التي يجب أن تصحح، لا من زاوية وجودها كمبدأ في حياة المسلم فحسب، بل من حيث تطبيقها عملياً في الحياة، إذ يجب على العبد أن تملأ معاني القدرة الإلهية أركان حياته، في مجالات متعددة تخص هذا الشعور.

وقد تناولت الآيات في قصص سورة الكهف تلك المجالات، بصورة جلية، مربية المسلم على التأدب مع الله وقدرته، فكان أن نبهت المسلم إلى:

أ- وجوب إرجاع العلم إلى الله:

لأنه صاحب القدرة المطلقة، ومن ملك القدرة المطلقة ملك العلم المطلق، ومن ذلك قول فتية الكهف ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾[1] «أي أنتم لا تعلمون مدة لبثكم، وإنما يعلمها الله سبحانه، وهذا رد منهم على الأولين على أحسن ما يكون من مراعاة حسن الأدب»[2]، لاستشعارهم أن علم ما في الكون لا يكون إلا للقادر سبحانه، وهذا مما ينبغي أن تنشأ عليه الأجيال، فتمتلئ جنباتهم بأن القدرة المطلقة لله، فيستشعروا مدى سعة علم الله لكل صغيرة وكبيرة تحدث في أرجاء هذا الكون، فينضبط سلوكهم وتتحدد اتجاهاتهم على ما يرضي الله سبحانه، وتنمو لديهم الرقابة الذاتية على تصرفاتهم.

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٩).

(٢) الألوسي، محمود البغدادي: روح المعاني، ج١٥، ص٢٢٩.

ب- رد الأمر إلى الله عز وجل:

فمهما قدَّم الإنسان من إنجازات، فإن ذلك مرتبط بقدرة الله، فهو الذي يسر لهذا الإنسان أن ينجز، وهو -ابتداء- الذي خلق وكون وقدّر، فما من شيء يخرج عن أمره. قال سبحانه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

وهذا ما كان من ذي القرنين، فقد نطق معترفاً بأن ما تم إنجازه من بناء للسد إنما هو من رحمة الله وقدرته، لأنه سبحانه هو الذي يسر ذلك، فقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾[2]. وتابع قوله مظهراً كمال قدرة الله، وأن ما تم من بناء إنما هو بقدرة الله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[3] فقدرة الله ابتداء كانت هي سبب البناء، وهو القادر سبحانه على ردم هذا البناء وجعله دكاء كأن لم يكن.

ج- إسناد المشيئة إلى الله سبحانه:

لأن ما من حادث يحدث إلا ومشيئة الله فوقه، لأنه سبحانه صاحب القدرة المطلقة.

وقد وجهتنا آيات صاحب الجنتين إلى إيجاد هذا المعنى التربوي ابتداء، بقول المؤمن لصاحبه مصححاً عقيدته: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[4]. «أي هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك الله منها: ما شاء الله اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله،

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٢٨).

(٢) سورة الكهف، الآية: (٩٨).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٩٨).

(٤) سورة الكهف، الآية: (٣٩).

وأن أمرها بيده إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها»[1]، «والقصد من الجملتين التبرؤ من الحول والقوة، وإسناد ما أنجز إلى مشيئة الله وقوته وحده»[2].

د- استشعار قوة الله وأنها فوق كل قوة:

وهذا بيِّن في قصة ذي القرنين، وبالأخص في تمكين الله له، فما وصل إليه ذو القرنين من قوة وسلطان إنما هو من قدرة الله سبحانه الذي أراد ذلك فكان، وقد كشفت الآيات عن هذا المعنى ابتداء في قوله سبحانه: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3].

«فلم يكن جميع ملكه وسلطته إلا بتمكين الله تعالى إياه في جزء من الأرض»[4]، «فالله سبحانه هو الذي يقدر الأحداث، ويشاء الوقائع، ويدبر الأمور، وإنه لا يحدث شيء في أي مكان، إلا بإذن الله سبحانه وتقديره وإرادته»[5].

وتعاود الآيات عرض هذا الموضوع، مصححة العقيدة من خلال مثال حي أمام الناس، هذا المثل هو ذو القرنين نفسه، الذي لم تغريه القوة والمكانة والسلطة لينسى فضل الله عليه، لا بل رد كل ما أوتي من قدرة إلى قدرة الله، ليظهر أنها خير مما يجمع الناس، فقال: ﴿مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾[6].

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ج:٢، ص:٤٨٥.

(٢) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، ج١١، ص:٤٠٦١.

(٣) سورة الكهف، الآية: (٨٤).

(٤) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: المحبة والشوق، باب: أن المستحق للمحبة هو الله، ج:٥، ص١٩٣.

(٥) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص٣٢٢.

(٦) سورة الكهف، الآية: (٩٥).

هـ- شكر الله على نعمه:

استشعاراً أن هذا من فضل الله وقدرته، فقد أنعم سبحانه علينا بما لا يحصى من النعم، وينبغي أن يوجد هذا الأدب في كل ركن من أركان الحياة، لأنه دليل على صحة العقيدة، ومدى ارتباط النعم بخالقها سبحانه وبقدرته.

وهذا ما وجهه المؤمن إلى صاحبه من معنى تربوي معالجاً لما فسد من عقيدته من عدم استشعار قدرة الله بعدم شكره عليها، فقال له: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(١)، اعترافاً بفضل الله عليه في منحه تلك النعم وشكره سبحانه على ذلك الفضل من خلال ذكر الله في ذلك الموقف، واستحضار معاني المشيئة والقدرة الإلهية في تيسير تلك النعم له.

رابعاً: ألا يضاف إلى الله ما يستقبح:

وهذا أمر عقدي غاية في الأهمية، من جهة الأدب مع الله، وهو من الأمور التي تحتاج إلى علاج، في عصرنا وفي كل العصور، فما إن يقع الإنسان في ابتلاء أو مصيبة حتى نجده قد دَاخَلَهُ شيء اتجاه الخالق سبحانه في نفسه، وما هذا إلا دليل على ضعف التربية الإيمانية التي يعاني منها كثير من المسلمين، ودليل على عدم الثقة بالله والتسليم بقدرته وحكمته سبحانه، وقد لا يظهر هذا الأمر على الملأ، فيبقى في النفس، مما يؤدي إلى فساد في العقيدة، الأمر الذي من شأنه أن يحرف المسلم عن الصراط المستقيم، والعياذ بالله.

وقد عالجت آيات قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح هذا الأمر، وذلك

(١) سورة الكهف، الآية: (٣٩).

أن العبد الصالح بعد أن اعترض موسى عليه السلام الاعتراض الأخير على تصرفاته[1]، بدأ بالكشف عن أسرار تلك الأعمال فقال له: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾[2].

والمتأمل في قول العبد الصالح يلحظ أنه في الفعل الأول والثاني قد أضاف الضمير إلى نفسه بقوله: «فأردت» -في خرق السفينة- و: «أردنا» -في قتل الغلام-، أما الفعل الثالث فقد أضافه لله بقوله: «فأراد ربك» -في شأن اليتيمين- والسر في ذلك -والله أعلم- هو أنه أضاف خرق السفينة وقتل الغلام إلى نفسه لأنهما لفظا عيب «فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه»[3]. أما بناء السور فكان عملاً إيجابياً فيه الخير، فأضافه إلى الله.

وهذا مما ينبغي على المسلم تجاه الله سبحانه؛ أن ينتبه لكل لفظ يخرج من فمه واصفاً به الله سبحانه، لأن هذا من مظاهر حسن الأدب. معه جل وعلا، وهو كذلك دليل على صحة الإيمان وتمكنه من القلب، وانتفاؤه انتفاء لكمال الإيمان.

---

(١) الاعتراض الأول كان على خرق السفينة والثاني على قتل الغلام والثالث على بناء السور.

(٢) سورة الكهف، الآيات: (٧٩-٨٢).

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج:١١، ص٣٩.



المعالجة التربوية للقضايا الحياتية

موقف المؤمن من متاع الدنيا:

كلمة المتاع تعني: «كل ما ينتفع به ويرغب في اقتنائه، كالطعام، وأثاث البيت، والسلعة، والأداة، والمال»[(١)]. وهذه المتع منها ما هو محرم ومنها ما أباحه الله سبحانه.

وقد حث الله سبحانه عباده على الاستمتاع بما أباحه لهم من طيبات الرزق فقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾[(٢)]، وتوجيه النبي ﷺ بيّن بهذا الخصوص وقد دل الكتاب والسنة على ذلك، أما الكتاب ففي قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[(٣)]، وأما السنة فقال ﷺ: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[(٤)].

لكن التمتع بما أباحه الله لا ينبغي أن يأخذ على المسلم كل همه وهدفه، بل لابد أن يكون موقف المؤمن من المتاع كما بينه قول الله سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ

---

(١) هارون، عبد السلام وآخرون: المعجم الوسيط، ج:٢، ص٨٥٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: (٣٢).

(٣) سورة الأعراف، الآية: (٣١).

(٤) الترمذي، السنن، كتاب: الأدب عن رسول الله، باب: ما جاء أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، ج٥، ص١١٤، رقم: ٢٨١٩.

فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، فهدف المسلم هو الآخرة، لكنه لا ينسى نصيبه من الدنيا، وهو يعلم أن حقيقة الزينة هي: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝﴾[2]، ويعلم كذلك أن: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[3].

من علم ذلك كان سلوكه مختلفاً عن أهل الدنيا، فهو كما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝﴾[4]، فإن المؤمن الذي يطلب الآخرة يتوحد مع غيره من المؤمنين، سواء من سبقوه بالاقتداء بهم، أو من يحيون معه بالصبر والتعلم منهم.

وقصة «أهل الكهف نموذج لطلاب الآخرة العازفين عن زينة الدنيا»[5] التاركين لها عند تعارضها مع هدفهم وغايتهم من عبادة الله وطاعته، ولها من التأثير على النفس عند سماعها الشيء الكبير، إذ يقتدي بهم المسلم في كل زمان وجيل في التحرك الصحيح المنسجم مع ما يصبو إليه، فيوازن بين الدنيا والآخرة عند تعارضهما، مقدماً -دون أن يتردد- طاعة الله على أية طاعة سواها، ويكون ولاؤه لله لا لغيره من منصب أو شهوة أو جاه أو سلطان.

---

(١) سورة القصص، الآية: (٧٧).
(٢) سورة الكهف، الآية: (٧).
(٣) سورة الكهف، الآية: (٤٦).
(٤) سورة الكهف، الآية: (٢٨).
(٥) حوى، سعيد: الأساس في التفسير، ج:٦، ص٣١٦٦.

فعلى المسلم، إن كان سلوكه غير منسجم مع هذه القاعدة، أن يعمل على تصحيحه وعلاجه، وإلا كان من الخاسرين لأنه يسعى وراء شيء زائل، فحقيقة الدنيا هي كما بينها الله بقوله: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾﴾[1]، والمسلم يخاطب غيره موضحاً له هذه الحقيقة بقول الله: ﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾[2].

وفي قصة صاحب الجنتين مثال آخر على موقف المؤمن من متاع الدنيا فهي تكشف لنا شعور المؤمن من أنه «عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة، وأن فضل الله عظيم وهو يطمع في فضله»[3].

«وهو في وجه المغريات مستعل ولو كان في حاجة، لأنه لا ينبغي له -وهو المؤمن المتصل بالله- أن يحيد عن منهج الله ويخالف دستوره، من أجل كسب مهما يكن من عِظَمِهِ فهو حقير، ومهما يكن من كثرته فهو زائل، ويبقى الله وحساب الله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[4].

---

(١) سورة الكهف، الآية (٤٥).

(٢) سورة الحديد، الآية (٢٠).

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:١٤، ص٢٢٧١.

(٤) سورة طه، الآية: (١٣١).

حقيقة التكريم والإهانة:

وهذه قضية أخرى بحاجة للمعالجة، فما موازين التكريم وما موازين الهوان، أهي -كما يظن الكثير- الغنى والفقر، فالغني مكرم عند الله لذلك أعطاه، والفقير مهان لذلك نجده محروماً، أم أن الأمر مختلف تماماً بموازين الله.

إن آيات قصة صاحب الجنتين تكشف لنا عن هذه الحقيقة، معالجة تلك النظرة الخاطئة التي انتشرت بين كثير من الناس، فهي تبين لنا أن «المتاع الدنيوي الزائل ليس مظهراً للتكريم الرباني والحرمان من هذا المتاع ليس مظهراً للهوان على الله»[(١)].

فقوله سبحانه معقباً على تلك القصة: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾[(٢)] دليل واضح على هذه الحقيقة، فالله خير ثواباً وخير عقباً لأوليائه «فلا ينقص لمؤمن درجة، لدناءته في الدنيا، ولا يترك لكافر عقوبة لشرفه، بل يعاقبه بذنبه ويظهر المؤمن عليه»[(٣)].

وهذا ما كان من محق الله لجنات المتكبر الذي أغرته الدنيا حتى ظنَّ أنه إن كان هناك يوم بعث سيكون من المكرمين عند الله، لأنه مكرّم في الدنيا بهذه النعم ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾[(٤)]، فما لبث أن نزل عليه العذاب: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾[(٥)].

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص١٣٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: (٤٤).

(٣) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، ج:١١، ص:٤٦٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: (٣٦).

(٥) سورة الكهف، الآية: (٤٢).

وعندما يتأمل الإنسان في هذه القصة لتنكشف أمامه هـذه الحقيقـة، فإنـه يعلم أن العمل الصالح والطاعـة والعبـادة هـي مظـهر التكريـم، والمعصيـة والتكبر والبعد عن الله هو عين الهوان في الدنيا والآخرة.



أدب الصحبة في قصص سورة الكهف

الصحبة على أساس العقيدة:

عملت التربية الإسلامية على توجيه المسلم نحو العناية في انتقاء خليله، لأن اكتساب السلوك يكون -في كثير من الأحيان- عن طريق التأثر فيمن يخالطهم، لذلك وجدت الكثير من التوجيهات النبوية التي توصي المسلم بوجوب اتخاذ الحيطة والحذر والتمحيص الدقيق من أجل اتخاذ القرار المناسب في انتقاء الصاحب، فقد قال ﷺ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**»[1] .

وقد حرص المربون الأقدمون من المسلمين على زرع الأسس السليمة التي يقوم عليها انتقاء الصاحب في قلوب تلاميذهم، فهذا أبو حامد الغزالي يقول -في معرض الحديث عن الصفات والشروط الواجب توافرها في الصاحب-: «ولا بد أن يتميز بخصال وصفات يرغب بسببها في صحبته، وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة، .. ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية، أما الدنيوية فكالانتفاع بالمال أو الجاه، أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمحاورة، وليس ذلك من أغراضنا، وأما الدينية، فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة إذ منها الاستفادة من العلم والعمل، ومنها الاستفادة من الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب، ويصد عن العبادة، ومنها الاستفادة من المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت، ومنها الاستعانة في المهمات، فيكون عدة في المصائب وقوة في

---

(١) أحمد: مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، رقم الحديث ٧٩٦٨، ٨٢١٢.

الترمذي: سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، رقم الحديث ٢٣٧٨.

أبي داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب من يؤمر أن يجالس، رقم الحديث ٤٨٣٣.

الأحوال، ومنها التبرك بمجرد الدعاء»[١].

ويقول الإمام ابن جماعة رحمه الله ناصحاً تلاميذه في الحرص على اختيار صاحبه «..فإن احتاج إلى من يصحبه فليكن صاحباً صالحاً ديناً ورعاً ذكياً، كثير الخير قليل الشر، حسن المداراة قليل المماراة، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه، وإن احتاج واساه، وإن ضجر صبّره. ومما يروى عن علي ﷺ:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه»[٢]

والمتأمل في القصص القرآني في سورة الكهف يلمس مدى اهتمامها بتوجيه المسلم نحو قيام العلاقات على أساس العقيدة باعتبارها المحرك نحو مختلف أنواع السلوك البشري، الذي يعد بمثابة الترجمة العملية لما يحمل كل إنسان من معتقدات .

لذا فإنه ينبغي على المسلم أن ينتقي من ينسجم معه في أسلوب حياته الذي حدده الله له، ليعينه في دعوته، فيشد من أزره إذا ضعف ويرفع من همته إذا خبت ويقدم له ما يحتاج عند حاجته له ويتبادل معه من المسلكيات ما يرضي الله سبحانه عنهما .

وقد نبه الله على ذلك في العديد من الآيات، فقال سبحانه وتعالى واصفاً حال المؤمنين في علاقاتهم الإيجابية: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ

---

(١) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: آداب الألفة، باب: في فضيلة الألفة والأخوة، ج:٢، ص٢٥٨-٢٥٩

(٢) الكناني، ابن جماعة: تذكرة السامع و المتكلم في آداب العالم والمتعلم، ٨٣، ٨٤.

رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. ويقول سبحانه في معرض بيان تقديم العون من المسلم لأخيه المسلم وفي ولائهم المتبادل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾[2]. وفي موضع التواصي بين الأخلاء المؤمنين يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾[3].

وفي القصة القرآنية في سورة الكهف -وبالأخص في قصة فتية الكهف- يلاحظ أن الله سبحانه قد أظهر الصفة الإيمانية -التي وحدت بين الفتية- بجلاء تام، فكانت المنطلق الذي أدى إلى انتقاء أخوتهم وتوحيد كلمتهم واندفاع همتهم في الطريق الذي اختاروه لأنفسهم من الوقوف في وجه الطغيان وترك رغد العيش والعصيان فراراً بدينهم في سبيل الرحمن، يقول سبحانه: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[4].

ولا يخفى أن لانتقاء الأخ لأخيه على أساس العقيدة آثاراً تربويةً سلوكيةً ماديةً ومعنويةً غاية في الأهمية نذكر منها:

أ- أنه سبب في الاستمرار على الحق:

ذلك أن المسلم عندما يرى مدى التزام غيره بالمنهج الرباني من خلال

---

(١) سورة الحشر، آية: (١٠).

(٢) سورة الأنفال، آية: (٢٧).

(٣) سورة البلد، آية: (١٧).

(٤) سورة الكهف، آية (١٣).

التناصح والتحاور -مثلاً-، فإنه سيكون بمثابة الدافع له نحو التأسي به والسير قدماً في طريق الالتزام . ألم تلحظ كيف أن عقيدة التوحيد أدت إلى ذلك التحاور فيما بين الفتية ليشد كل منهم عضد الآخر ويقتدي كل منهم بأخيه، فاختاروا تقديم الدين على أي أمر سواه؟ وقد تحدثت الآيات عن ذلك، فأظهرت صورة التواصي الإيماني في الانطلاق والاستمرار على الطريق، فقال سبحانه واصفاً تلك الجلسة الحوارية : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ۝﴾(١) . فكان الوصول إلى هذا المستوى من التطبيق العملي في السلوك من خلال مراعاة الاختيار ضمن الأساس الإيماني، الذي لولاه لما رأينا تلك التضحية من هؤلاء الفتية . فالعلاقة التي لا يراعى فيها هذا الأساس ؛ لا يتوقع منها أن تؤدي إلى التمسك بهذا الحق والصبر عليه.

ب- الفوز بالمعية والعناية الإلهية:

ويظهر ذلك من خلال العديد من الموضوعات والآيات القرآنية في تلك القصة كقوله سبحانه: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ۝﴾(٢). فالضمير في قوله سبحانه ﴿وَرَبَطۡنَا﴾ عائد إلى الله سبحانه. فبعد أن وحّد الإيمان بين قلوبهم تنزلت عليهم المعية الإلهية المعنوية في زيادة هداهم

---

(١) سورة الكهف، آية: (١٥، ١٦).

(٢) سورة الكهف، آية: (١٤).

﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ ومن ثم المعية الإلهية المادية بالربط على قلوبهم ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾.

ويتجلى ذلك أيضاً في المعية الإلهية داخل الكهف، من السعة التي حازوها عند وصولهم إليه «فلفظة ينشر تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح، فإذا بالكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء»[1]، أضف إلى ذلك بقية الكرامات الإلهية من النوم الطويل، وحفظ أجسادهم بتقليبها، وحمايتهم من أن تطالهم يد إنسان بإنزال الرعب في قلوب كل من ينظر إليهم، قال سبحانه واصفاً ذلك: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ١٦ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ١٨﴾[2].

ج- تحصيل العلم النافع والسلوك القويم:

ويظهر ذلك في صحبة موسى عليه السلام مع الخضر، فالآيات تظهر حقيقة تلك الصحبة وما قامت عليه من تحصيل للرشد والخير والمنفعة، فقال سبحانه

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٦٢.

(٢) سورة الكهف، آية: (١٦، ١٧، ١٨).

على لسان موسى عندما طلب من الخضر الرفقة: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾[1].

فالعلاقة القائمة على أساس معرفة الله سبحانه لا يتصور أن تخرج عن إطار الفائدة -طلباً في مرضاة الله سبحانه- إلى العبثية، -كما نشاهد في الكثير من العلاقات المبنية على المصالح المتبادلة التي لا يصل السلوك المحيط بها إلى المستوى المطلوب من التبادل الحقيقي للعلم والسلوك القويم إلا النزر اليسير منها-، إذ إن الأساس التي قامت عليه لا يجعل للعبثية مكاناً في قلوب أتباعه، بل يرقى بسلوكهم إلى درجة القدرة على استثمار الوقت فيما ينفع، وقد بيّن الله سبحانه ذلك في قوله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾[2] فتبادل العلم النافع والحكمة هدف من أهداف إرسال الله سبحانه للنبي محمد ﷺ الذي ما فتئ يزرع تبادل الخير في القلوب بعد أن وحد المسلمين على الإيمان .

حقوق الصاحب:

تناولت الآيات القرآنية في السورة موضوع حقوق الصحبة، فذكرت العديد من المسلكيات التي يتوجب على المسلم أن يراعيها أثناء تعامله مع أخيه، لتبقى العلاقة بينهما في إطار التفاهم والتّحاب وتبادل الخير الذي يُرضي الله سبحانه، وفيما يلي استعراض لأهمها:

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٦).

(٢) سورة البقرة، آية: (١٥١).

أولاً: التناصح والوصية:

يعد التناصح من أهم المظاهر التي تعود بالخير على الفرد وعلى المجتمع، فهو الترجمة الحية للحرص الأخوي بين الأفراد الذي من شأنه أن يزيد التواد والتحاب بينهم، ويعمل على إبعاد المرء عن الوقوع في الزلات والمعاصي التي قد ينزلق فيها إذا فقد الأخ الموجه والناصح. كما ويؤدي -التناصح- إلى تنمية الخير في المجتمع من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعد تطبيقاً عملياً لتقديم النصيحة داخل المجتمع المسلم.

لذلك نجد ذلك الحرص النبوي على زرع هذا المفهوم في نفس المسلم، فقد روى البخاري عن جرير بن عبد الله قَالَ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»(١)، فلو لم يكن للتناصح بين المسلمين أثر في تقويم السلوك ؛ لما قرن النبي ﷺ في بيعته لجرير ﷺ بينه وبين الصلاة والزكاة.

و قد تحدثت الآيات القرآنية -في سورة الكهف- عن موضوع النصيحة في عدة مواقع منها:

نصيحة الخضر لموسى عليه السلام بعد أن طلب منه أن يصحبه، فقال له ناصحاً وموجهاً: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾(٢) . لعلمه بأن الإنسان يصعب عليه أن يمنع نفسه من الاستفسار عمّا أُبهم عليه من تصرفات .فقدّم له ذلك النصح حتى لا يقع موسى عليه السلام فيما يشق عليه.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: قول النبي ﷺ «الدين النصيحة لله ولرسوله»، الحديث الأول، ج:١، ص٢٢.

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٧، ٦٨).

ويلحظ في الآيات الطريقة التي استخدمها الخضر في تقديم النصيحة لموسى عليه السلام من:

١- التلطف في تقديم النصح واختيار عبارات مختصرة معبرة عن المراد دون تفصيل ممّا قد يوقع المنصوح بالحرج مما يؤدي إلى عدم تقبل النصح .

٢- أن الناصح برّر عدم استطاعة موسى عليه السلام الصبر على تصرفاته بأنه لم يحط به خبراً فقال معللاً: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[1]. فهذا التبرير يحرك في النفس الرغبة في قبول النصيحة والالتزام بها.

وكشفت آيات قصة الفتية عن أسلوب من أساليب التناصح، ألا وهو الوصية التي تحتوي على المعنى الأساسي للنصيحة من: الاهتمام بجلب الخير ودفع الشر، فقد أوصى الفتية صاحبهم الذي خرج لجلب الطعام بالتلطف عند الشراء حتى لا ينكشف أمرهم فيلحق الضرر بهم فقالوا: ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾[2].

وهذا ما ينبغي على المرّبي أن يزرعه في قلب المُربَّى ؛ أن يتقبل النصيحة إذا قُدمت إليه، وأن يقدمها لمن يحتاجها في وقتها بلباقة وحسن أدب، مع التنبيه على صحة ذلك النصح، فيغدو معتاداً على النصح والنصيحة وحب الخير للآخرين، فيكون للتربية الإسلامية تأثير عملي في سلوك الأفراد .

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٨).

(٢) سورة الكهف، آية: (١٩، ٢٠).

ثانياً: قضاء الحوائج:

ومن حقوق الصاحب، قضاء الحوائج، إذ إن الإنسان في كثير من الأحيان يحتاج إلى من يعينه على قضاء حاجاته، فلا يجد من يلجأ إليه في طلب العون غير أخ له صديق يقف بجانبه ليقدم له العون «بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال، وتقديمها على الحاجات الخاصة»[(١)].

وهذا ما كان من الفتية بعد استيقاظهم من نومهم؛ وقد كانوا بحاجة ماسة إلى الطعام، فطلبوا من أحدهم أن يقضي لهم هذه الحاجة فأطاعهم في أمرهم له وقضى لهم حاجتهم، قال سبحانه وتعالى مبيناً ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[(٢)].

و ما كان من فتى موسى عليه السلام في قضاء حاجات السفر من حمل الحوت وإيتاء الغداء .. برهان واضح -كذلك- على وجوب قضاء الحوائج للصاحب وبخاصة إذا كان عالماً.

ويلاحظ في الآيات الكريمة مدى الأدب في الطلب من الصاحب الإعانة على قضاء الحوائج. فهذا موسى النبي يخاطب فتاه بأدب جم طالباً منه إيتاء الغداء، فقال: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا

---

(١) الغزالي: أبو حامد، إحياء علوم الدين، كتاب: آداب الألفة، باب: في حقوق الأخوة والصحبة، جـ٢، ص٢٦٤

(٢) سورة الكهف، آية: (١٩).

﴿نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[١]، فموسى عليه السلام:

١- قد استخدم كلمة فتاه بياناً للأدب الذي استخدمه معه في الخطاب.

٢- بين سبب هذا الطلب وهو: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾﴾[٢]. حتى يكون أدعى في الاستجابة وتقديم العون.

ثالثاً: الوفاء بالعهد:

الذي يعبر عن صدق العلاقة بين الأخوين، فالإخلال بالعهد لا يكون إلا في علاقة فقدت مقومات الاستمرار.

والآيات القرآنية التي تحدثت عن وجوب الوفاء بالعهد كثيرة منها قول الله سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۖ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾[٣]، ومنها قول الله في حديثه عن أخلاق المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾[٤].

والآيات القرآنية في سورة الكهف في قصة موسى عليه السلام مع الخضر قد طرحت هذا الحق وبينت بعض آدابه، فتحدثت عن العهد الذي آتاه موسى عليه السلام للخضر في الصبر وعدم العصيان بقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[٥]، فشرط عليه الخضر ألا يسأله عما سيرى من أحواله فقال له: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[٦] فسكت موسى سكوت موافقة على هذا الشرط فأصبح كعهد

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٢).

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٢).

(٣) سورة الإسراء، آية: (٣٤).

(٤) سورة المعارج، آية: (٣٢).

(٥) سورة الكهف، آية: (٦٩).

(٦) سورة الكهف، آية: (٧٠).

منه له، لذلك نجد التنبيه الذي وجه من الخضر لموسى عندما نسي عهده مذكراً إياه به فقال: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾[1]، فاعتذر له موسى وطلب منه عدم المؤاخذة بنسيانه: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾[2]. فعفا عنه، واستمرا في الرحلة.

مما سبق يمكننا القول بأن:

١- الوفاء بالعهد يعد من الحقوق المهمة التي يجب علينا أن نراعيها في علاقاتنا .

٢- لا بد من الاعتذار عند نسيان العهد إظهاراً للندم وطلباً للعفو، لأن عدم ذلك سيؤدي إلى النفور.

٣- لا بأس من العفو عند نسيان العهد والتجاوز عن ذلك .

٤- إذا علم الإنسان أنه غير قادر على الالتزام بالعهد فالأفضل أن يعتذر عن الاستمرار فيما يشق عليه. وذلك كما حصل من موسى عند تكراره لمخالفة العهد فقال لصاحبه: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾﴾[3].

رابعاً: المشاركة المادية والمعنوية:

فقد دلت العديد من الآيات في السورة على هذا المفهوم، منبهة على هذا الحق، مطالبة المسلمين الاهتمام به، فمثلاً ؛ في قصة الفتية، ذكرت الآيات

(١) سورة الكهف، آية: (٧٢).

(٢) سورة الكهف، آية: (٧٣).

(٣) سورة الكهف، آية: (٧٦)

القرآنية الاشتراك المادي الذي حصل بينهم في المال بعد أن استيقظوا فجمعوا ما معهم من مال ليشتروا به طعاماً لهم: ﴿فَٱبۡعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمۡ هَٰذِهِۦٓ﴾ فدلت الآية على ما وقع بينهم من اشتراك في معرض الكلام عن مجمل الموضوعات السلوكية التي طرحتها الآيات والتي كان منها آداب الصحبة، لما لهذا الحق من آثار في بيان صدق العلاقات الأخوية عند تحققها، ولما له من إيجابية تسهيل الحياة على الإنسان المحتاج .

ومن قبل هذا الاشتراك المادي فيما بينهم، كان هناك الاشتراك المعنوي الذي ظهر من خلال توحد اتجاههم نحو عقيدة التوحيد فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾﴾[1] .

وتأكدت هذه القضية في قصة موسى مع فتاه، فضمير المثنى المستخدم في الحوار الذي دار بينهم دلّ على أن من مستلزمات الصحبة: الاشتراك بين الصاحبين في كل أمر سواء المادي منها، أو المعنوي، كما يلاحظ ذلك في قول الله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدۡ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ عَجَبٗا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ

---

(١) سورة الكهف، آية: (١٤، ١٥).

عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]. فالضمائر المثنّاة متعددة، وذلك كي تنبه على هذا الحق الذي تستلزمه الصحبة، فمثلاً «النسيان الذي كان من الفتى وحده قد نسب إليهما للصحبة»[2]. ولعل من الملاحظ في ضمائر الآيات أنها نبهت إلى أن الاشتراك لا يكون اشتراكاً مادياً فحسب؛ بل يتعدى ذلك ليكون اشتراكاً معنوياً أيضاً فيتحد الأخ مع أخيه في المشاعر والماديات، في السلوك والتوجهات.

ويمكن القول: بأن كل علاقة تخلو من هذا الحق فإن مصيرها قد يؤول إلى الزوال، لأن الإنسان إن لم يشعر بالتوحد والاشتراك بينه وبين من يخالطه ؛ إن لم يلمس ذلك الانسجام الذي ينتجه ذلك التوحد، فلن يجد الحاجة للاستمرار في تلك العلاقة، لأن الإنسان مجبول على حب الاشتراك مع من يخالطهم، ولأن هذا الشعور إنما يدل على الصدق في العلاقة، وانتفاء وجوده إنما هو انتفاء وجود الصدق فيها.

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦١ - ٦٥).

(٢) القرطبي: محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، جا ١١، ص١٢، بتصرف يسير.



أدب الحوار في قصص سورة الكهف

إن من الآداب المعروضة في قصص سورة الكهف، أدب الحوار، فقد جلّت الآيات أبرز أنواعه وأميز خصائصه كالتلطف، والعناية في انتقاء الألفاظ والموضوعات، والواقعية، والثقة بالنفس، وغيرها من الخصائص التي تجعل الحوار فاعلاً منتجاً.

الحوار لغة:

كلمة «(حاوره) محاورة وحواراً تعني: جاوبه. وجادله. قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾[1].

وقد استخدم الحوار في القرآن الكريم والسنة النبوية في العديد من المواقف كأسلوب تربوي له تأثيره البالغ في السلوك الإنساني، فغير في نفوس الصحابة -رضي الله عنهم- لينتج للبشرية جيلاً قرآنياً فريداً يستخدم جميع الوسائل التربوية في سبيل الوصول إلى رضى الله جل شأنه .

خصائص الحوار القرآني:

١- خروج الحوار القرآني عن العبثية:

والمتأمل في الحوار التربوي الإسلامي يجد «أنه حوار ذو أهداف سامية، فيعمل على إحقاق الحق وإبطال الباطل، ويعمق الإيمان في النفوس، وبالتالي فهو يستخدم وسائل عملية، كالتأثير المنطقي، ويخرج عن إطار التنظير الجدلي الذي يهدف إلى إثبات الرأي الذاتي دون الالتفات إلى احتمالية صحة الرأي

---

(١) هارون: عبد السلام وآخرون، المعجم الوسيط، جا، ص٢٠٤.

المقابل، وهذا لا يقترب من الحق قيد أنملة، لأن هدفه إرضاء الذات وتعويض النقص الذي يشعر به. لذا نجد أن لفظ الجدل في القرآن الكريم قد ورد -في أغلب الآيات- في مواضع الذم لا المدح، كقول الله محذراً منه في عبادة الحج: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾[1]، وعدم اهتمام الحوار القرآني بالجدل -التي تعتبر مظهراً للعبثية- لدليل على خروجه عن العبثية».

٢- بعث الحياة والحركة في الحدث:

ومن ميزاته أيضاً ذلك الدور المهم في بعث «الحياة والحركة في الحدث، ويؤدي إلى الهدف، ويظهر المغزى، ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة .. كما أنه يترجم عن الشخصية ويستبطن انفعالاتها وأزماتها، ويضعها في إطار نفسي معين، ويزج القارئ في تجربة القصة ليعيشها، وتنقله من عالمه إلى عالمها»[2]. فيمتزج مع أحداثها ويتفاعل ليخرج بالفائدة المرجوة منها.

أنواع الحوار القرآني في قصص سورة الكهف:

إن من أسباب التأثر السلوكي المباشر جراء الاستماع إلى الحوار القرآني تعدد الأساليب الحوارية التي ضرب بها المثل في قصصه، فناسب جميع الطبائع البشرية، التي قد يؤثر في سلوكها الأسلوب العقلي أكثر من غيره، أو تلك التي تتأثر بالأسلوب الوعظي، أو غيرها التي قد يؤثر فيها الأسلوبان معاً.

لذا يلاحظ أن القرآن الكريم قد أظهر أسلوبين من أساليب الحوار في القصة

---

(١) سورة البقرة، آية: (١٩٧).

(٢) نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، ص٤١٤.

القرآنية الواردة في سورة الكهف، أولهما: الأسلوب المنطقي، وثانيهما: الأسلوب الوعظي، مراعياً ما يناسب السياق في ذكر كل أسلوب منها.

أولاً: الحوار المنطقي:

إن الإسلام قد بنى ذاته على أساس القناعة العقلية، فجعل الإيمان بالقضية الكبرى ؛ وهي وجود الله، قائماً على أساس العقل، فحث الإنسان في العديد من الآيات على التدبر والتأمل فيما حوله ليصل إلى حقيقة الإيمان، فقال سبحانه: ﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝﴾[1]، وقال في موضع بيان أن سبب الهلاك في الآخرة هو عدم اعتماد الكافر على المنطق العقلي الصحيح ليصل إلى حقيقة الإيمان: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝﴾[2].

ويعد الحوار من الوسائل المستخدمة في إظهار الحق المعتمد على المنطق العقلي سواء للمتحاور معه أو للمستمعين إلى الحوار، «فالإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار الحوار الهادئ العميق سواء في ذلك قضايا العقيدة، وقضايا الحساب والمسؤولية. وهذا هو الأساس الإسلامي في اعتبار الحوار قاعدة أساسية في دعوته الناس إلى الإيمان بالله تعالى»[3].

إذاً يمكن القول بأن «الحوار الموجّه إلى الحق في القصص القرآني يعتمد

---

(١) سورة الجاثية، آية: (٥).

(٢) سورة الملك، آية (١٠).

(٣) فضل الله: محمد حسين، الحوار في القرآن الكريم، ص٣١، ٣٢.

على المنطق أكثر من اعتماده على الاستهواء العاطفي، لأن أرقى درجات الإيمان، وأزكى وسائل التربية ما قام على النظر والتدبر»[١].

والأمثلة على هذا النوع من الحوار في آيات سورة الكهف متعددة منها:

١- قول الفتية: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ۝١٥﴾[٢] فهذا حوار قام على أساس العقل في إثبات العبودية لله وحده وانتفاء الشريك عنه عقلاً، فعبارة «بسلطان بيّن» تعني «ببرهان ظاهر، فإن الدين لا يؤخذ إلا به، وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود، وأن التقليد فيه غير جائز»[٣]. وقد نددت كثير من آيات القرآن بذلك التقليد الأعمى الذي يجمد على القديم المألوف، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٧٠﴾[٤].

٢- ومن الأمثلة كذلك ما قاله المؤمن المعتز بإيمانه لصاحبه الغني الكافر بنعمة الله في الحوار الذي دار بينهما مستخدماً فيه الأسلوب العقلي في الرد على كفره طالباً منه الرجوع واتباع الحق الذي يجلّيه النظر والتأمل في خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة ثم يسوي الخلق ذكراناً وإناثاً، معلناً في خضم ذلك التبرؤ من الإشراك به سبحانه؛ كيف لا وهو الرب الذي خلق

---

(١) نقرة: التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، ٥٨٧.
(٢) سورة الكهف، آية:(١٥).
(٣) البيضاوي: عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص٣.
(٤) سورة البقرة، آية: (١٧٠).

وكوّن فأبدع، فقال لـه محـاوراً: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾(١).

ومن الآثار التربوية التي تنبع من هذا الحوار:

أ- أنه يجلي -بما لا يدع مجالاً للشك- محاور الحق ومرتكزاته، ليكون أدعى في الاتباع، فيضبط الإنسان سلوكه على ما يرتضيه الحق المطلق، الله سبحانه.

ب- وهو كذلك أدعى في الاستمرار على الحق والثبات عليه، كيف لا وهو يستند إلى قوة الله سبحانه ومن ثم إلى القوة التكليفية التي تفصل بين الحق والباطل ؛ ألا وهي قوة الحجة والبرهان.

ثانياً: الحوار الوعظي:

كلمة «وعظ (وعظه) - (يعظه) وعظاً، وعِظة: نصحه وذكره بالعواقب. و-أمره بالطاعة ووصّاه بها»(٢).

والمتتبع لآيات سورة الكهف يلمس مدى اهتمامها في عرض هذا الأسلوب الحواري الذي يفتح الطريق إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان، فتهزه هزاً، وتثير كوامنه، كالسائل الذي تقلب رواسبه فتملأ كيانه. فالوعظ يستثير جميع مكنونات النفس البشرية المندفعة نحو اتباع الحق الذي فطر الله الناس عليه، ليوقف المُحاوَر عند نقطة لا يستطيع عندها طمس الحقيقة النابضة في نفسه، والتي قد غفل عنها باتباع الشهوات، فغدا وقد كفرها بعصيانه، فتأتي الموعظة في الوقت الصحيح، والطريقة المناسبة،

---

(١) سورة الكهف،آية: (٣٧، ٣٨).

(٢) هارون: عبد السلام وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ص١٠٥٥.

كي تزيل ما علق على الفطرة من درن التكبر والفجور . ألم تلحظ كيف كان موقف صاحب الجنتين عندما طمس التكبر على قلبه وعطّل فكره وعقله وخالف فطرته بكفره، فجاءه صاحبه المؤمن الذي وعظه مستثيراً ما في نفسه من إيمان قائلاً: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[١]، ثم أكمل معه الوعظ الإيماني ليذكره بما تأمره به الفطرة من شكر الله سبحانه على النعمة قائلاً: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[٢]، ثم ذكره بالعقوبة إن هو استمر في معصيته ؛ بل في كفره فقال: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾[٣].

والموعظة لا بد أن تعتمد على المنطق، مع الاهتمام في استثارة الحقائق الفطرية واستخدام أسلوب الترهيب -إن استدعى- باعتباره من الحقائق الفطرية التي لا بد من التذكير بها في هذا المقام، كالتخويف من عذاب الله الواقع في المتكبر بزوال نعمه عنه. وهذا ما كان في تدمير جنتي الكافر المتكبر كما أخبرتنا الآيات بذلك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾[٤].

---

(١) سورة الكهف، آية: (٣٧).
(٢) سورة الكهف، آية: (٣٩).
(٣) سورة الكهف، آية: (٤٠، ٤١).
(٤) سورة الكهف، آية: (٤٢، ٤٣).

وللموعظة تأثير كبير في تعديل السلوك ذلك أنها:

أ- تلم بمكنونات العقل والفطرة والعاطفة المنضبطة، لتجتمع معاً في هيكل الحقيقة المطلقة وتشكل فيما بعد ذلك البعد السلوكي الممتد إلى أعماق الرضى والطمأنينة الدافعين إلى الطريق السليم والاستمرار عليه.

ب- تضفي على النفسية المؤمنة تلك الشفافية التي تجعل من قلب المسلم حصناً منيعاً أمام المعاصي والمنكرات والمسلكيات الخاطئة، ذلك أن الترهيب الذي يصحب الموعظة يعمل على تعليق القلب بالله طالباً رحمته وخائفاً من عذابه.

تنوع أساليب الحوار والفوائد من ذلك:

ويُلمس مما مضى مدى العلاقة التكاملية بين أساليب الحوار، سواء في الاعتماد على استخدام المنطق أو استخدام الوعظ، من أجل الوصول بالمتحاورين إلى الحقيقة.

ولتربية الجيل على التنوع في استخدام أساليب الحوار فوائد متعددة منها:

أ- أنها تعمل على زيادة ثقة المحاور بنفسه فيكون أدعى في الإقناع والاتباع، ذلك أن هذا التنوع يجعله مؤهلاً لأن يخاطب شريحة كبيرة من العقول أو أن يخاطب العقل الواحد من أكثر من زاوية، العقلية منها والوجدانية، ليشمل مواقع الإقناع النفسية والمنطقية ؛ فإن أبعد الفجور عقله عن الحقائق فإن المخاطبة الفطرية للوجدان سيكون لها تأثير فيه، وإن لم يكن لاستثارة المكنونات الفطرية طريق سوى العقل، خاطبه بما يصلح لإصلاحه.

ب- إن تنوع أساليب الحوار يعطي للمحاورة صفة الاستمرارية، مما قد يتيح الفرصة بشكل أكبر للمربي في التأثير بشريحة واسعة، ذلك أن بقاء الحوار على شكل واحد قد يوقع الملل في النفوس، ومن ثم عدم المتابعة الذهنية والانسحاب. أما عند التنوع في المخاطبة بين العقل والوجدان فإنه

يكون أقوى في جلب الانتباه بتغيير نوع الخطاب فيستمر الحوار ليفيد منه المربي بقدر ما يسر الله له.

خصائص الحوار القرآني في قصص سورة الكهف:

إن المتتبع للحوار المستخدم في الآيات الكريمة يجد أنها كشفت عن عدة خصائص ميزت الحوار الإسلامي عن غيره، مضفية عليه صفات النجاح والتأثير الفاعل. ومن تلك الخصائص:

أولاً: التلطف:

وهي تلك الخاصية التي تجذب الناس إلى المربين، ليكون لهم أوفر الحظ في القلوب، ومن ثم في التأثير والاقتداء. أما فقدانها في التعامل فهو سبب في نفور الناس والابتعاد وعدم الاستماع، وقد وجه الله سبحانه نبيه ﷺ نحو هذا المفهوم في الحوار، فخاطبه قائلاً له وللمربين من بعده: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1]، فالتربية الإلهية واضحة في طلب البعد عن الفظاظة التي تعد عكس التلطف، وقد حرص الإسلام على إزالة ما يقف في وجه المربي المسلم من عراقيل تحول بينه وبين المجتمع، فأمره بما يزيد قرب الناس منه من بشاشة وتلطف في العلاقات معهم.

وقد نبه النبي ﷺ على أن هذا السلوك الأخلاقي مرتبط بالإيمان، لما له من أثر إيجابي فاعل في المتعامل معه، فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِنْ أَكْمَلِ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا وَأَلْطَفُهُمْ

(١) سورة آل عمران، آية: (١٥٩).

بِأَهْلِهِ»[١].

ويتضح ذلك كذلك في وصية الفتية لصاحبهم عند خروجه لشراء الطعام بقولهم : ﴿فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[٢]، ففي هذه الوصية بالتلطف «التفات ذكي منهم إلى أهمية اللطف واليسر والسماحة في الحياة، وفي الاتصال بالناس والتعامل معهم، وفي البيع والشراء، وهي ضرورية لكل مسلم .. إن حياته لن تستقيم إلا بالتلطف، وإن علاقته مع الآخرين لن تتوثق إلا بالتلطف، وإن تعامله معهم في مختلف مجالات العمل ومرافق الحياة، لن ينجح إلا بالتلطف»[٣].

ومن الأمثلة على التلطف في الحوار في السورة، تلك العبارة التي نطق بها موسى عليه السلام من قوله للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾ ففيها من التلطف في الطلب من العلماء ما يغنينا عن إطالة الحديث عن التلطف وصوره[٤].

ثانياً: العناية في انتقاء الموضوعات والألفاظ:

ففيها دليل على القوة العلمية التي يتحلى بها المحاور والتي من شأنها أن تعمل على زيادة الفاعلية الحوارية في عملية الإقناع للطرف المقابل واتباعه للحق، إذ يشعر بمدى الثقة بالنفس ووضوح الفكرة ونضوجها عند من

(١) الترمذي: سنن الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، رقم: ٢٦١٢. و أحمد: مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، رقم: ٢٢٦٨٤.

(٢) سورة الكهف، آية: (١٩).

(٣) الخالدي: صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن الكريم، ص٧٨.

(٤) سيأتي مزيد بيان في المبحث القادم «آداب العالم و المتعلم».

يتصف بهذه الصفة، فهو يمتلك القدرة الكافية على وصف العلاج المناسب في الوقت المناسب لمن يحتاجه، ليكون أوضح في إيصال الحق ممن لا يمتلك القدرة على اختيار الموضوعات بعبارات تعبر عمّا في النفس فيشرد ويشط.

وتعد القدرة على انتقاء الموضوعات والألفاظ من مستلزمات الحكمة، التي تعرف بأنها: «الكلام الذي يقلّ لفظه ويجل معناه»[١]، ولا يخفى على أحد ما للحكيم من قدرة عالية في التأثير وتعديل السلوك.

وعند العودة للآيات للنظر إلى التوجيهات التي حوتها حول هذا المفهوم نجد بأنها أوردت أمثلة متعددة منها:

١- الموضوعات التي احتوتها عبارات المؤمن في حواره مع صاحب الجنتين، الذي تكبر على الله سبحانه -صاحب الفضل عليه- فدخل مزهواً بنفسه قد قُلبت الموازين عنده من شدة تكبره فغدا كافراً محضاً. يقول الله سبحانه في وصف حالته تلك: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾﴾[٢]، فما كان من المؤمن إلا أن اختار أفضل العلاج للتكبر الذي أصاب صاحبه بأن ذكّره:

أ- بأصل خَلْقِه الوضيع -الذي لا يدع للتكبر نصيباً في قلب الإنسان؛ من تراب ثم من نطفة، فأين سبب التكبر والغطرسة وعلام هذا الموقف الذي لست أهلاً له، فوجه له الحديث قائلاً: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾[٣].

---

(١) هارون: عبد السلام وآخرون، المعجم الوسيط، جا، ص١٨٩.

(٢) سورة الكهف، آيه: (٣٥، ٣٦).

(٣) سورة الكهف، آية: (٣٧).

ب- ثم انظر إلى العناية في اختيار لفظ «أكفرت» الذي يلقي بظلال الرهبة والخوف في نفس الإنسان عند مصارحته بهذه الحقيقة، فيكون لها أكبر الأثر في الوقوف مع النفس لمراجعتها وتقويمها .

ج- ثم تابع قوله باختيار موضوع من شأنه أن يجلي الحق فذكّر صاحبه بفضل الله عليه من أنه هو سبحانه سبب خلقه وتكوينه وتسويته بالصورة التي هو عليها فقال: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾[1] لعل هذا الكافر أن يعود إلى السلوك القويم بفعل المطلوب منه من شكر الله سبحانه على النعم التي أنعم بها عليه.

د- ثم هز كيانه بالموضوع الآخر الذي طرحه عن نفسه قاصداً به الإنسان السوي، وهو إعلان الوحدانية لله والتبرؤ مما سواه من القوى والغايات الزائلة الزائفة وإعلان توحيد الله في ألوهيته وربوبيته. فقال له: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[2] ولا يخفى ما لهذا التوحيد من تأثير بالغ في تغير الإنسان العاصي إلى تائب عند وجود صدى لها في النفس.

هـ- ثم اختار أن يذكره بالواجب عليه نحو الله فيصحح موازينه ويوجهها نحو وجوب ذكر الله سبحانه عند رؤية النعم، وأن يتبرأ من كل قوة غير قوة الله لأن القوة المطلقة إنما هي لله: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾[3] .

---

(١) سورة الكهف، آية: (٣٧).

(٢) سورة الكهف، آية: (٣٨).

(٣) سورة الكهف، آية: (٣٩).

و- وختم انتقاء الموضوعات باختيار ما يرهب الإنسان في هذه الحالة التي تعلق بها في قوة حب الدنيا المتمثل في حب جنته المطلق، فذكره بمصيرها إن هو أصر على ما هو عليه من إهلاكها وضياعها وزوالها. فقال: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ﴿٤١﴾﴾[1].

٢- وفي اختيار الكلمات من الخضر توجيه لنا نحو الاعتناء في اختيار الألفاظ المعبرة، ففي موقعين من رحلة موسى عليه السلام معه طبق قاعدة «لكل مقام مقال» باعتبارها من القواعد الأساسية في الحوار الناجح، فبعد أن اعترض موسى عليه السلام على قتل الغلام -وهو الفعل الثاني الذي وقع منه الاعتراض عليه- زاد الخضر في مبنى الجملة التي ذكّره فيها بعدم قدرته الصبر على ما سيرى، عن الجملة التي تلت الاعتراض الأول، إذ زاد لفظة «لك» في الثانية ﴿۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾﴾[2] عن الأولى التي خلت منها. ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٢﴾﴾[3] وذلك كي يكون أقوى في التوجيه بعد تكرار وقوع الخلل من موسى عليه السلام في مخالفته وعده له، وليكون أقوى في الرد على موسى عليه السلام الذي استخدم هذا الأسلوب -انتقاء الكلمات- في الاعتراض، فبعد الفعل الأول انتقى كلمة «إمراً» أما بعد الفعل الثاني فاستخدم

---

(١) سورة الكهف، آية: (٤٠، ٤١).

(٢) سورة الكهف، آية: (٧٥).

(٣) سورة الكهف، آية: (٧٥).

«نكراً» لأن فعل القتل -خاصة عندما يكون على هذه الشاكلة لغلام لم يبلغ الحلم ولم يفعل منكراً- يحتاج إلى تغليظ في الإنكار أشد من التغليظ على خرق السفينة. فكان من الحكمة في الرد الواقع من الخضر أن يزيد المبنى كما زاد موسى قوة التعبير.

والموقع الآخر الذي استخدم الخضر هذا الفن الحواري كان في آخر اللقاء بينهما، فبعد أن اعترض موسى ﷺ الاعتراض الأخير وحان الفراق، بدأ الخضر ببيان سر أفعاله، وقد استخدم قبل أن يكشفها لفظ ﴿تَسْتَطِيعَ﴾ وبعد أن بينها كان التعبير بلفظ ﴿تَسْطِع﴾ وفي هذا ما لا يخفى من انتقاء اللفظ بحسب ما تقتضيه الحالة فإن «إثباتها أولاً يوافق الحالة النفسية التي كان يعيشها موسى ﷺ، حيث كانت الأفعال الثلاثة ثقيلة على نفسه،.. ولهذا ذكرت التاء لتثّقل الكلمة حتى تكون موافقة لثقل نفسية موسى. فلما عرف حقيقة الحوادث زال الثقل النفسي عنه، وخف حمله النفسي فحذفت التاء تخفيفاً، ولتوافق خفة الكلمة الخفة النفسية التي فيها موسى بعد التفسير -والله أعلم-»[1].

إذاً: لانتقاء الموضوع المناسب بالألفاظ المناسبة فاعلية كبيرة في التأثير والتأثر السلوكي، وهو فن لا بد للمربين من أن يتقنوا استخدامه في التعامل مع من يربون من أجل الوصول إلى أرقى درجات الفاعلية في العملية التربوية، ولكي تنمو هذه المقدرة عند المُرَبّى من خلال الاقتداء بمربيه في استخدام هذا الفن.

---

(١) الخالدي: صلاح عبد الفتاح، مع قصص السابقين في القرآن، ص٢٣٢، ٢٣٣.

ثالثاً: واقعية الحوار وبعده عن الجدل:

الواقعية هي العملية في الحوار، والبحث فيما يعود علينا بالنفع العملي، وترك ما لا طائل منه، بالبعد عن المراء والجدل، اللذين يعدّان من مظاهر الترف الفكري الذي يُعنى بالكلام النظري دون الاهتمام بالأداء العملي التطبيقي. «فالفكرة الإسلامية في الحوار .. أن لا يدخل الإنسان في أجواء الجدل، في أية فكرة تثار أمامه، لئلا يتحول إلى جهد ضائع، وعبث سخيف .. بل يحاول الداعية أن يتحكم في الموقف، بإغلاق باب الحوار فيما لا يؤدي إلى نتيجة، وتوجيه الحوار إلى الفكرة التي تنفع العقيدة وتبني الحياة»[1]. وما انفك الإسلام يوماً، في تشريع أحكامه، عن إيجاد التطبيق العملي في سلوك أتباعه، فالنّاظر في آيات القرآن الكريم يرى ذاك الكم الهائل والذي يصل إلى نحو ستين آية، قد عطف الله فيها ذكر العمل الصالح على الإيمان. وقد حث النبي ﷺ المسلمين على ترك الجدل فقال: «ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل»[2]، وما هذا إلا دليل على العملية التي امتازت بها التربية الإسلامية.

وقد ضرب الله سبحانه في قصص سورة الكهف العديد من الأمثلة التي تدخل تحت ظل هذه الخاصية، طالباً منا أن نلتزم بها فنكون واقعيين عمليين في حوارنا ومنتجين، بعيدين عما لا نفع في الحديث فيه غير مرائين.

أ- حارب الإسلام الجدل كونه مظهراً من مظاهر البعد عن الواقعية، فهو لا يؤدي إلى أي نوع من التأثير السلوكي العملي، إذ يكون همّ المجادل

---

(١) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ص١٨٤.

(٢) الترمذي: السنن، كتاب: تفسير القرآن، باب: ٤٤، رقم الحديث: ٣٢٥٣، ج٥، ص٣٥٣.
ابن ماجه: السنن، المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل، رقم: ٤٨، ج١، ص١٩.

إثبات نظرته، بغض النظر عن احتمال الإصابة في الرأي المقابل، ودون أن يكون له اهتمام بمدى الفاعلية العملية المتحققة من هذا الحوار الجدلي، ولا يخفى؛ أن الجدل يسهم في تشويه الكيان الفكري للإنسان بما يثيره في طريقة تفكيره من الابتعاد عن القضايا البدهية في الحياة، ليبقى مشدوداً إلى الافتراضات البعيدة التي تغذي الجدل وتحجب عن الإنسان رؤية الواقع.

فقد نهى الله سبحانه نبيه ﷺ عن الجدل في شأن فتية الكهف فقال له: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[1] أي «لا تجادل أهل الكتاب وغيرهم في شأن أهل الكهف، إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه، أو جدالاً سهلاً ليناً، فإن الأمر لا يترتب عليه كبير فائدة، وهكذا شأن المسلم في كل أمر من هذا القبيل، لا يجادل فيه إلا ضمن حدود»[2].

وكان قبل هذا التوجيه قد ندد بالجدل القائم بين النصارى في عدد الفتية فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[3]، «فقد أخفى القرآن على عموم الناس ذلك العدد لحكمة، وهي: أن تتعود الأمة ترك الاشتغال فيما ليست منه فائدة للدين أو للناس»[4]، «فالقرآن الكريم يريد من ذلك أن يضع القضية في نطاقها الصحيح من قضية المعرفة ومواردها التي ينبغي للناس أن يقصدوها ليعلن لكل هؤلاء المجادلين من خلال خطابه

---

(١) سورة الكهف، آية: (٢٢).

(٢) حوى، سعيد: الأساس في ا لتفسير، ج٦، ص٢١٧٣.

(٣) سورة الكهف، آية: (٢٢).

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٩٠-٢٩١.

للنبي ﷺ .. أن القضية لا أهمية لها، حتى يبينها الرسول للآخرين، ليختم الجدال بالرأي الفصل»[١] .

ب- دعا الإسلام في آيات القصة إلى البعد عن التنظير من خلال طلبه الاهتمام بما ينتج سلوكاً عملياً إيجابياً ؛ فالأسلوب التربوي في الإسلام يسير بالفرد إلى المجالات العملية .. (على أساس التوعية الفكرية، باعتبار أن القضايا النظرية المحضة من القضايا التي لا فائدة منها للحياة بشكل مباشر أو غير مباشر. وهكذا في الأمور الكثيرة التي تدخل في باب الفضول الذي لا جدوى منه ولا منفعة، مما يجعل صرف الجهد فيه تضييعاً للعمر وإهداراً للطاقة. لأن قيمة الفكر، إنما هي، بمقدار ما يحقق من نتائج عملية تفيد الإنسان في حياته وبعد مماته، أو من نتائج نظرية تتعلق بالنتائج العملية»[٢].

وفي سكوت القرآن عن تفاصيل في القصص الأربع في السورة، وفي تغاضيه عن ذكر الأسماء والأماكن والسنوات دليل واضح على توجيه التربية الإسلامية نحو المنهجية العملية والسمو بها عن التنظير البحت . فمثلاً: «لم يخبرنا بمكان أهل الكهف في أي البلاد من الأرض، إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي»[٣]. وتأمل حرف «من» في أمر الله لنبيه في السورة: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾[٤] فهي تفيد التبعيض، أي سأخبركم ببعض قصص ذي القرنين ذات الصلة بالفائدة وأبين لكم مواطن العبرة والعظة، وسأسمو على إطار التنظير والحديث فيما لا ينفع.

---

(١) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ١٨٣-١٨٤.

(٢) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ١٩٧.

(٣) بن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٧٣.

(٤) سورة الكهف، الآية: (٨٣).

ومن أمثلة البحث النظري المقيت، ذلك البحث الذي لا علم للإنسان به، فالأجدى أن يتركه -إذا كان عدم العلم فيه لا يضر- ليلتفت إلى ما هو أهم وأنفع ويترك علم ذلك إلى الله، وهذا ما كان من الفتية عندما تركوا البحث في مدة لبثهم إلى الله، لأن العلم به لا ينفع وعدم العلم به لا يضر قال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾(١) إذ نأخذ من موقفهم هذا درساً وعبرة «بحيث لا نتعب أنفسنا في الخوض فيما لا نملك من الوسائل اليقينية السليمة الهادية، للخوض فيه، لأن هذا يعتبر مضيعة للوقت والجهد والفكر، فعلينا أن نكل ذلك إلى الله وعلمه سبحانه، ونقول فيما لا نملك الخوض فيه: الله أعلم»(٢).

رابعاً: الدفاع عن الحق والبعد عن الإثارة للدفاع عن الذات:

إن تحرك الحوار لأجل الدفاع عن الذات ؛ غالباً ما يخرج بصاحبه عن ضبط النفس ليتحول الحوار إلى حلقة مفرغة من طلب الحق والبحث عنه، فالحوار التربوي الإسلامي لا يثأر لذاته، حتى لو وصل الأمر حد التطاول، بل يضبط نفسه ليعمل على إيجاد جو انفعالي إيجابي ليصل إلى الهدف الذي يسعى لتحقيقه، فها هو النبي ﷺ لم تكن ذاته هي المحرك لحواره بل كانت رسالته هي التي تفرض نفسها على الجو في بدايته ونهايته .. وبهذا كانت

---

(١) سورة الكهف آية: (١٩).

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ٧٣-٧٤.

المصلحة الرسالية هي ما يستهدفه النبي ﷺ من اللمسات الأخيرة التي كان يضعها لنهايات الحوار، وها هي الآيات القرآنية تتحدث عن ذلك في رد المؤمن على الكافر المتكبر فتظهر لنا هذا المعنى ؛ إثبات الحق وعدم إقحام الذات في الحوار، فبالرغم من استهزاء الكافر وتعييره له بفقره لم يبدأ حواره معه بعبارات يرد فيه عليه معززاً فيه نفسه التي تعرضت للهجوم -لأن النفس المؤمنة أعلى وأسمى من ذلك بل بدأ بعبارات من شأنها أن تجلي الحق وتبعد الوهم الذي كان يحيى به ذلك الكافر، وتصحح الموازين وتوحدها على معايير الحق سبحانه . فقال له: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[١] .

خامساً: الثقة بالنفس:

لا تنفك ثقة المؤمن بنفسه قيد أنملة وهو يحاور أهل الباطل ويسعى لتحقيق غايته من الوصول فيمن يحاورهم إلى الهدى والإيمان، إذ أن التربية الإسلامية التي نشأ عليها لا تدع للخوف من أية قوى أرضية طريقاً إلى قلبه، ليصبح كالصخرة التي تتحطم عليها جميع القيم الدنيوية، ليغدو المؤمن معتزاً بإيمانه، محاوراً أغنى الأغنياء، أو أقوى الأقوياء، أو حتى أطغى الطغاة، فها هم الفتية قاموا متحدّين بحوارهم طغاة عصرهم، مصرين على الثبات على الحق لا يخافون في الله لومة لائم، وها هو المؤمن الفقير قام في وجه الكافر محاوراً، دون أن يكون الفقر مانعاً عن بيان الحق، أو غنى ذلك مانعاً لإبطال الباطل، فثقة المسلم بنفسه وثقته بالحق الذي يدافع عنه، واستصغاره للباطل، يجعل منه نموذجاً يحتذى به في الثقة الحوارية التي لن ينجح المحاور في

---

(١) سورة الكهف، آية: (٣٧، ٣٨، ٣٩).

التغيير إلا بعد أن يكون قد امتلأ بها، ليشعر من يحاوره بوجودها فيكون دليل صدقه وإيمانه بالفكرة التي يدعو الناس إليها، فيتأثر به.

سادساً: تعدد الأساليب

الأمر الذي يظهر تمكّن المربِّي من الموضوع من خلال قدرته على عرضه بأكثر من طريقة، ثم إن ذلك يجعل مهمته الحوارية أقرب للنجاح، ذلك أن القدرة على طرح الفكرة بأساليب مختلفة يمهد الطريق أمام المحَاوَر للاقتناع، فربما لم يفلح معه أسلوب، فيقنعه بآخر، وقد يستخدم عبارات متنوعة ذات تأثير بالغ في المُحَاوَر، ومثال ذلك: العبد المؤمن الذي تنوع في أساليبه مع الكافر وفي عباراته كذلك، فشد المستمع إلى النص الحواري بأسلوب متميز، فنجده [(١)]:

١- تارة قد استخدم الأسلوب العقلي في الحوار.

٢- وتارة وعظه فذكره بنعم الله عليه.

٣- وأخرى رهبه من خلال الاستفهام الاستنكاري الذي أطلقه ﴿أَكَفَرْتَ..﴾، ومن خلال الوعيد بالعذاب الواقع به إن هو استمر على ما هو عليه. ومن خلال توبيخه في قوله له: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [(٢)] فكلمة «لولا» «للتوبيخ ووصية من المؤمن للكافر ورد عليه» [(٣)] بأسلوب جديد لعله يرتدع ويعود.

---

(١) مر معنا بيانه في: المطلب الأول من: المبحث الثاني في: هذا الفصل. صفحة: ٥٤.

(٢) سورة الكهف، آية: (٣٩).

(٣) القرطبي، محمد أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص٤٠٦.

سابعاً: إتقان فن الاستماع:

فلا بد للداعية من أن يفهم كلام من تقدم لحواره، فيرتب الأفكار ويصنفها ليشرع في الرد، ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق القدرة في الاستماع دون مداخلة سريعة قد تشوه وتعكر جو الحوار، وقد تؤدي إلى انتهائه بسرعه، ألم تلحظ كيف استمع المؤمن بإنصات لذاك الكافر ليبدأ بعد ذلك بتفنيد آرائه بأن رد عليها رداً مفحماً. وفي استماع موسى عليه السلام للخضر واستماعه لموسى عليه السلام[١]؛ دلالة واضحة على ذلك، وإن شئت أيضاً أن تنظر إلى استماع ذي القرنين إلى أولئك الذين طلبوا منه أن يبني لهم سداً[٢] لتلمس تحقق هذه الخاصية بوضوح في قصص سورة الكهف التي يدعونا فيها الله سبحانه إلى الالتزام بهذا الفن الذي يعد من أهم أدبيات الاختلاف ذات التأثير البالغ -عند وجودها- في إضفاء جو الإيجابية على الحوار والبعد به سمواً عن السلبية . الأمر الذي يتجلى فيه الحق ليكون أدعى في الاتباع والإنصات بكسب ثقة واحترام المُحَاوَر والجمهور له.

ومما يُعانى منه -في هذه الأيام- عدم تحقق هذه الصفة في حوار بعض المربين الإسلاميين، سواء مع بعضهم، أو مع غيرهم أو حتى مع من يربون، ليعود ذلك سلباً على علاقاتهم مع أنفسهم ومع بعضهم ومع غيرهم، ومع أتباعهم، والأنكى من ذلك تشويه وضياع الحق.

---

(١) سيأتي بيانه في المبحث القادم: آداب العالم و المتعلم.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في فصل التربية العملية.

أدب العالم والمتعلم في قصص سورة الكهف

إن من أهم ما تميزت به قصة موسى عليه السلام المذكورة في سورة الكهف عن غيرها من السور، أنها ذكرت زاوية مختلفة من حياته عليه السلام؛ زاوية ارتحاله في سبيل المعرفة، فأظهرت لنا آداب العالم والمتعلم، كأسلوب تربوي ينبغي علينا الاقتداء به بصورة جدية عملية في حياتنا التي غدت خالية من الممارسات الحقيقية لتلك الآداب التي راعتها التربية الإسلامية وعملت على غرسها في نفوس أتباعها . إذ أننا نرى -في هذه الأيام مثلاً- مدى بعد بعض طالبي العلم عن الصفات الواجب توافرها فيهم سواء مع العلم ذاته أو مع المعلمين، وسواء في المراحل التعليمية الدنيا أم العليا، إذ إن التوجيه الإيجابي نحو عوالي الأمور؛ والمكلف به المربون، قد عُدم، إما لافتقارهم لصفات المربي، أو لانتشار اللامبالاة التي فرضتها طبيعة الحياة المعاصرة بين عناصر الغالبية منهم، فأصبح عدم الشعور بالمسؤولية هو الطاغي على استشعار الأمانة والرقابة الذاتية في النفوس، فخلت العملية التعليمية التعلمية من آدابها وأهدافها النبيلة لتحل محلها الفوائد والمكاسب الدنيوية .

وما من سبيل للرجوع إلى ما كان عليه سلفنا الصالح من تميز علمي وتربوي إلا بتطبيق تلك القواعد الضابطة للتعليم والموضَّحة في القرآن الكريم، ومنها ما سنعرضه في هذا المبحث -إن شاء الله- وهي من أهم الصفات التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها ليكون أكثر فاعلية في التأثير السلوكي فيمن يعلمهم، وأفضل الوسائل التعليمية التي ينبغي عليه أن يستخدمها معهم، لتتحصل الفائدة،وسنعرض كذلك إلى ما ينبغي على طالب العلم أن يتحلى به من خصال، ليكون أكثر تهيؤاً لتلقي العلوم وفهمها وتطبيقها في حياته، وما ينبغي عليه من آداب تخص طريقة تعامله مع معلمه وعلمه ليعينه على الاستمرار في تعليمه.

صفات العالم:

يعد العالم من أهم الركائز التي تُبنى عليها العملية التعليمية، إذ هو الموجه والناقل للصفات السلوكية التي يكتسبها طالب العلم، مما يعني أن الاهتمام الأكبر لا بد أن ينصب على إيجاد العلماء من خلال زرع الصفات المؤهلة لهم في الوصول بهم إلى القدرة التنفيذية العالية في تغيير الجيل إلى الأصلح لحياة الأمة، لذلك يلاحظ وجود العديد من الآيات -في قصة موسى عليه السلام مع الخضر- التي وُجهت نحو تحقيق هذا الهدف فبينت أن من أهم صفات العالم المسلم:

أولاً: العبودية لله سبحانه:

أول الصفات التي ذكرتها الآيات الكريمة في العبد الصالح الذي خرج موسى للتعلم على يديه أنه عبد لله سبحانه ﴿عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ﴾[1]، وهذا أسمى مقامات التشريف، ذلك أنه قد أضيف في ارتباطه وتبعيته لله، لا لمذهب وضعي ولا لمنصب دنيوي.

ومن معاني هذه الصفة:

أن يبتغي الأجر من الله في تعليمه «فلا يقصد به جزاء ولا شكراً، بل يعلّم لوجه الله تعالى وطلباً للتقرب إليه»[2]، وقد أخرج أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»[3] .

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٥).

(٢) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: آداب المتعلم والعالم، جا ص٧٥.

(٣) ابن ماجه: السنن، المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم: ٢٥٢، ج:١، ص٩٣.
وأحمد: المسند، ج:٢، ص٣٣٨.

دوام المراقبة لله سبحانه، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: «ليس العلم ما حفظ لكن العلم ما نفع ومن ذلك دوام السكينة والوقار والخشوع والتواضع لله والخضوع»[١].

الإخلاص وعدم الرياء «بأن يقصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، .. ولا يقصد به الرياسة والمال ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران»[٢]. فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء أو يكاثر به العلماء أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار»[٣]، وقد قال الشافعي رحمه الله: «وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على ألا ينسب إلي حرف منه»[٤].

رد العلم إلى الله وعدم الشعور بالغرور «فلا ينبغي للمرء مهما أوتي من العلم والحكمة أن يغفل عن سعة علم الله الذي يتجاوز تصورات البشر ومداركهم، وهذا ما أراد الله أن يعلمه لموسى عندما جمعه مع العبد

=والحاكم: المستدرك، ج:١، ص٨٥.

وأبو داود: السنن، كتاب: العلم، باب: من طلب العلم لغير الله تعالى، رقم: ٣٦٦٤، ج٢، ص٣٤٧.

(١) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص١٥.

(٢) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: في آداب العالم والمتعلم، ج١ ص٧١.

(٣) رواه الترمذي: السنن، كتاب: العلم، باب: ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدنيا، رقم: ٢٦٥٤، ج٥، ص٣٢.

والدارمي: السنن، المقدمة، باب: التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، رقم: ٣٨٠، ج١، ص١١.

وابن ماجه: السنن، المقدمة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به، رقم: ٢٥٣، ج١، ص٩٣.

(٤) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص١٩.

الصالح»[١] . ومثال ذلك في الآيات قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾[٢] . فرد العلم إلى الله سبحانه.

ثانياً: الرحمة:

وهي الصفة الثانية المذكورة في الآيات بعد صفة العبودية، ويظهر ذلك من خلال قول الباري سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[٣]، والملاحظ أن الرحمة سبقت العلم كصفة من صفات العالم، وفي هذا بيان أن صفة «الرحمة» هي الأساس الذي يسبق العلم، وهي البيئة المناسبة لنفع العلم وخيره وبركته، فإذا نزعت الرحمة من العلم، وإذا لم تسبق العلم، ولم تكن تمهيداً وأساساً له، كان العلم شراً وخراباً وتدميراً [٤].

ومن مستلزمات صفة الرحمة:

١- سعة صدره في التعامل مع تلاميذه، فلا يضيق لأقل الأسباب، ولا يغضب لأتفه التصرفات، لا، بل عليه أن يذكّر ويوجّه عند وقوع الخطأ من تلاميذه، ويشفق عليهم ويتلطف بهم، وهذا ما كان من الخضر المعلم اتجاه ما وقع فيه موسى عليه السلام من النسيان لما وعده به من عدم السؤال عما سيفعله، فما كان من الخضر إلا أن عامله معاملة ملؤها الرحمة وسعة الصدر بأن ذكره بوعده له قائلاً بعد اعتراض موسى الأول: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾﴾[٥].

---

(١) نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، ص١٧٢.

(٢) سورة الكهف، آية: (٨٢).

(٣) سورة الكهف، آية: (٦٥).

(٤) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن الكريم، ص٢٠٨.

(٥) سورة الكهف، آية: (٧٢).

٢- أن يوضح المعلم للمتعلم مآل الأمور، حتى لا يكلف فوق طاقته لعلمه بحقيقة الأمر المقدم عليه، فقد أوضح الخضر لموسى بعبارة صريحة عدم قدرته الصبر على ما سيرى من أفعاله رحمة به، فقال: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[1].

فالرحمة صفة أساسية في المعلم لا بد من اتصافه بها، لأنها سبب في زيادة القرب بين المعلم وطلابه، فيزيد التآلف والتحاب والتفاهم والانسجام، مما يثري العملية التربوية ويزيد من فاعليتها وتأثيرها في نفس المُربى.

ثالثاً: العلم:

وثالث الصفات كما تظهرها الآيات ؛ العلم، يقول سبحانه: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[2] فبعد أن يكون عبداً لله، ثم تتحقق فيه صفة الرحمة، يأتي العلم الواسع الذي يؤهله لمخاطبة الطلبة وتربيتهم بكفاءة عالية.

ولا يخفى ما لعدم تحقق صفة العلم في المعلم من خطورة بالغة في ضعف التربية، بإخراج أناس أشباه علماء يظنون أنهم حازوا علم الأولين والآخرين فيفتون بغير علم فيضلوا ويُضِلوا، ويضيع الحق، وتلتبس الأمور، وتفقد القدوات.

أما إن كان العالم عالماً لا شبه عالم، فإن من شأن السلبيات السابقة أن تزول، ليحل محلها ما قرأناه عن سلفنا الصالح من نهوض تربوي متميز في مختلف المجالات، فقد روي أن جماعة من أصحاب ابن المبارك اجتمعوا

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٧، ٦٨).

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٥).

فقالوا: عدوا خصال ابن المبارك، فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والزهد والشجاعة والشعر والفصاحة وقيام الليل والإنصاف وقلة الخلاف على أصحابه[1].

ويحل محل السلبيات ما أظهرته الآيات من فوائد جليلة لعلم الخضر عليه السلام، منها ما اختص بأساليبه التعليمية، ومنها ما اختص بأساليب المعاملة، ومنها ما اختص بالكفاءة في معالجة الموضوعات، ومنها ما اختص في التربية والقدوة ..[2].

ثم إن شعور الطالب من تمكن معلمه من علمه يجعله يزداد ثقة به، ويسعى باحثاً عن هذا المعلم، طالباً منه أن يعلمه، مقتدياً به في أساليبه وسلوكياته، مطيعاً له في كل أحواله، وهذا ما كان من موسى عليه السلام عندما علم عن سعة معرفة الخضر، فذهب إليه مرتحلاً ومُصرّاً على لقياه، ولسان حاله يقول: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[3]، وسر هذا الإصرار من النبي عليه السلام في لقيا الخضر هو ما اتصف به الخضر من العلم والمعرفة، فأراد أن يتعلم من علمه: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[4]. وقد كان لعلم الخضر أثر إيجابي في سلوك موسى عليه السلام وطاعته له، إذ كان شديد التأدب في سلوكه مع الخضر، خاصة في كلامه.

---

(١) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص١١٩.
(٢) سيأتي تفصيل ذلك في هذا المبحث ص٨٦.
(٣) سورة الكهف، آية: (٦٠).
(٤) سورة الكهف، آية: (٦٦).

رابعاً: التواضع للعلم والسعي لتحصيله:

وهذا ما كان من موسى ﷺ، النبي العالم الذي أصبح طالباً للعلم بعدما أخبره الله سبحانه عن إنسان أعلم منه، فلم يعجب ﷺ بعلمه بل داوم على التعلم وتذلل له[١]، إذ «لا ينبغي لأحد أن يترك طلب العلم وإن كان قد بلغ نهايته»[٢] فالعلم من الله سبحانه وتعالى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٣] وآتاه من العلم جزءاً يسيراً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٤] وبناء على هذا المعنى سار سيدنا موسى ﷺ في رحلته مع العبد الصالح.

وسيرة العلماء من سلفنا الصالح خير مثال على ذلك، فما انفكوا يتواصون بالمضي في العلم مهما بلغوا فيه، حتى غدا هذا من أهم أخلاق العالم عندهم، فهذا سعيد بن جبير يقول: «لا يزال الرجل عالماً ما تعلم فإذا ترك التعلم وظن أنه قد استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون»[٥].

وأنشد بعض العرب:

وليس العمى طول السؤال وإنما تمام العمى طول السكوت عن الجهل[٦]

وكان جماعة من السلف يتعلمون من طلبتهم ما ليس عندهم، قال

---

(١) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج٢، ص١١ .بتصرف يسير.

(٢) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي، ج٣، ص١٩.

(٣) سورة العلق، الآية: (٥).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٨٥).

(٥) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٢٨.

(٦) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، باب: آفة العلم وغائلته وإضاعته وكراهية وضعه عند من ليس بأهله، ج١، ص٤٤٦.

الحميدي -وهو تلميذ الشافعي- «صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت استفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث»[١]، فهذه الصفة إن تحققت في العالم زاد علمه واتسع، وانتفع بعلم غيره وأنفع.

أما إذا تكبر العالم على العلم ورأى عدم أهلية غيره لأن يقدم له العلم، فهو بهذا قد خرج عن أصل من أصول العلم وصفة أساسية في العالم، الأمر الذي من شأنه أن يضعف علمه، ويبعد تلاميذه، ويوقعه في الحسد والضغينة عندما يرى الإقبال على غيره، فيسلك من التصرفات ما لا يحمد عقباه . لذا وجب على العلماء أن يتبادلوا الآراء ويتعلم بعضهم من علم بعض وبخاصة أن من طبيعة العلم أنه تراكمي البناء، حتى يتأسى بهم طلابهم، فتعم المنفعة ويزيد العلم والحب في الله.

خامساً: عدم كتمان العلم

فلا بد أن يعمل العالم على نشر علمه وإيصاله للناس، وهذا ما كان من الخضر، عندما قَبِل صحبة موسى عليه السلام له، كأسلوب من أساليب نشر العلم.

ولا يخفى ما لكتمان العلم من أثر في ضياعه واندثاره، وهذا ما لا يرضى الله سبحانه الذي أمر بنشر العلم بين الناس، وحذر من منعه، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[٢]، وقال كذلك: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣].

---

(١) ابن جماعه الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٢٩.

(٢) سورة البقرة، آية: (١٥٩).

(٣) سورة المائدة، آية (٦٧).

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من كتم علماً لجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[١].

وقد حذر العلماء من كتمان العلم، فهذا سفيان الثوري رحمه الله يقول: «من بخل بالعلم ابتلي بثلاث: إما أن يموت فيذهب علمه، أو ينساه، أو تذهب كتبه»[٢].

وإن في نشر العلم قوة وازدهاراً للأمة في مختلف الميادين والفنون وهو من أسباب تميزها وظهورها على بقية الأمم، ومن فوائده تحقيق المنفعة المادية للناس، ومثال ذلك، ما صدر من فوائد جمة من تصرفات الخضر عندما أعطى علمه لموسى عليه السلام، فقد حمى أصحاب السفينة من غصب الملك لسفينتهم بخرقها، وأذهب الإرهاق عن أهل الغلام بقتله، وحفظ كنز الغلامين ببناء السور.

سادساً: الواقعية:

فالأصل في العالم أن يكون صاحب أسلوب واقعي «يعبر عن الروح العملية التي يعيشها العالم تجاه المتعلمين، بعيداً عن أية مجاملة تفرضها الأوضاع الاجتماعية، أو أي أسلوب من أساليب اللف والدوران التي تحاول خداع الآخرين، لتجعل منهم أرقاماً تضاف إلى أرقام الأتباع الموجودين الذين يشاركون في تضخيم شخصية الأستاذ، من دون ملاحظة

---

(١) ابن ماجه: السنن، المقدمة، باب: من سئل عن علم فكتمه، رقم: ٢٦٥، ج١، ص٩٧. وأحمد: المسند، ج٢، ص٤٩٩، ٥٠٨. والحاكم: المستدرك، ج١، ص١٠٢.

(٢) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ص١١٦.

لاستفادتهم منه أو قابليتهم للتعلم والانتفاع بعلمه»[١]، فها هو الخضر يطبق هذه الخاصية برفضه -في بداية الأمر- صحبة موسى عليه السلام دون أن يكون للمجاملة طريقاً إلى قلبه، انطلاقاً من الواقع البشري الذي لا يطيق الصبر على ما لا يجد مبرراً له من الأعمال ليبدأ بالاعتراض، فقال الخضر لموسى بعد أن طلب منه الصحبة: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾[٢] لأن الواقع هو: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[٣].

وهذا ما نحن بحاجة إليه الآن: أن يكون المعلم واقعياً في طرق التدريس، واقعياً في علاقاته ومعاملته وتقييمه لطلابه، واقعياً في نظرته لقدرته العلمية لنفسه ولغيره من المعلمين، وأن يبتعد عن أسلوب إخفاء الحقائق طلباً في زيادة عدد الطلاب وإشباع الغرور بتكثير السواد حوله، والابتعاد عن المجاملة العلمية التي تخفي وراءها حقائق مريرة لأجل عرض من الدنيا زائل.

ولا بد أن يعمل -المعلم- على نقل هذا المفهوم لطلابه، وأن يعمل على توجيه اهتمامهم نحو ما يستفاد منه عملياً في الحياة، وأن لا ينشغلوا بسفاسف الأمور وإنما بعواليها. فلم نلحظ قط في تعليم الخضر لموسى أمراً بعيداً عن الارتباط بالواقع، بل كانت ذات صلة واضحة بالواقع المعاش، وليست معلومات نظرية خاوية عن تحقيق الفائدة أو جدلاً بيزنطياً لا مرجو منه. فالعلم أسمى من أن يسطر في الكتب فحسب، بل العلم النافع هو الذي يسطّر في دفاتر الأيام والحياة.

---

(١) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ص٢٨٧.

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٧).

(٣) سورة الكهف، آية: (٦٨).

سابعاً: معرفة أحوال النفوس:

لما في ذلك من قدرة على التعامل بأفضل الأساليب مع المتعلم، فتكون العملية التعليمية أنجع، فيعلم طبيعة الفطرة ومكنونات الأنفس -ضمن طاقته-. فهذا الخضر قد علم «أن الله قد فطر النفس البشرية على حب الاستطلاع، فالإنسان يحب أن يعرف ما يدور حوله، وأن يتعرف على ما يراه ويسمعه، ولذلك يُكثر الأسئلة والاستفسارات»[1]، ولذلك برر لموسى رفضه صحبته بأنه لن يصبر فقال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾[2].

ويتبع هذه الخاصية القدرة على تطبيق قاعدة تربوية بالغة الأهمية ألا وهي مراعاة الفروق الفردية بين الطلبة، التي تنادي بها التربية الحديثة كأساس لإتقان التعلم، والتي من شأنها أن تجعل من المعلم أكفأ في إفادة أكبر شريحة ممكنة من طلابه عن طريق انتقاء الأنسب لكل منهم بحيث يتفق مع خصائص النمائية.

ثامناً: القدرة على التنويع في استخدام الأساليب والطرق التعليمية:

فالعالم الناجح يملك القدرة على تنويع أساليب التعليم حسب الظروف المؤثرة في عملية التعليم في موقف ما، فلا يمكن للمعلم أن يلجأ إلى استخدام أسلوب واحد في أكثر من موقف تعليمي، فلا يجمد على أسلوب واحد دون بقية الأساليب، ففي ذلك تحقيق لفوائد جمّة على رأسها نجاح

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص٢١٤.

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٨).

العملية التعليمية في تحقيق أهدافها، وذلك:

١- لأن الفروق الفردية بين المتعلمين تستدعي ذلك التنوع، فلا يعني مناسبة أسلوب تعليمي مجموعة من المتعلمين، نجاح هذا الأسلوب مع الجميع، فلكل مجموعة ما يناسبها من الأساليب، لذلك يجب أن يكون العالم صاحب دراية بأساليب التعليم، وذا كفاءة عالية على التنوع في استخدامها.

٢- أضف إلى ذلك أن تنويع الأساليب أثناء العملية التربوية، يُذهب الملل الذي ينتج عن الجمود على أسلوب واحد، فيضيع التركيز وتذهب الفائدة، فكلما كانت الأساليب متنوعة زاد عنصر التشويق ليزيد التحصيل العلمي.

٣- ثم إن في قدرة العالم على تنويع الأساليب التعليمية، دليلاً على تمكنه العلمي والتربوي من المعرفة التي يقوم بتوضيحها، مما يزيد من ثقة المتعلم به، والاستمرار في الأخذ عنه.

٤- كما أن في وصول المعلومة بأكثر من طريقة إلى المتعلم، زيادة في فهمها ورسوخها وتطبيقها.

والناظر إلى قصة موسى مع العبد الصالح يلحظ أن الآيات الكريمة قد جاءت على أساليب تعليمية مختلفة منها:

أولاً: النصح والتنبيه:

بأن يقدم العالم المعلومة بطريقة النصيحة للمتعلم، مشعراً إياه بحرصه على مصلحته، وحب الخير له، وهذا أسلوب قريب من القلب، يجعل المتعلم قادراً على فهم المعرفة وتمييزها.

ومن أمثلة هذا الأسلوب في قصة موسى عليه السلام قول الخضر ناصحاً

وموجهاً له، بعد أن طلب موسى ﷺ منه أن يصحبه: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾﴾[(١)]. لعلمه بعدم قدرة الإنسان الصبر على ما يخفى من الأسرار، ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[(٢)]، فلمسنا كيف أنه قد أوصل إليه المعلومة بأسلوب النصح والتنبيه.

وهذا الأسلوب كما قلنا- يعمل على توضيح المعلومة بشكل كبير، لأن المتعلم وهو يستمع للنصيحة المدعمة بالمعرفة، يطبق هذه النصيحة على نفسه ويركز انتباهه إلى ما سيلقى على مسامعه، ومن ثم يزيد من حسن الاستماع والإصغاء، فيعيش بالتالي في جو المعرفة، فيكون ذلك أجدى وأنفع.

ثانياً: الحوار:

وذلك بأن يفسح العالم المجال أمام المتعلم للمناقشة، وأن يعبر عما يدور في خلده، لأن في ذلك فوائد متعددة منها:

أ- تمكن العالم من معرفة مستوى المتعلم، لأن المتعلم في الحوار يظهر ما لديه من علم، الأمر الذي يفيد العالم لتحديد نقطة الانطلاق في البناء العلمي للطالب، بينما لو لم يحدد العالم ذلك، فلربما بدأ من نقطة أدنى من مستوى المتعلم فيمل الطالب من هذا المعلم، أو قد يبدأ المعلم من نقطة أعلى من مستوى المتعلم مما يؤدي إلى عدم فهم المتعلم لما يتكلم به المعلم، فتضيع الفائدة.

ب- كما أن الحوار يرسخ المعرفة، كيف لا، وقد توصل المتعلم إليها عن

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٦٧).

(٢) سورة الكهف، الآية: (٦٨).

طريق الإقناع الناجم عن الحوار، فالحوار بين العالم والمتعلم قد يكون عن طريق طرح الأسئلة أو المناقشة، وفي جميع الحالات، إن كان العالم ناجحاً، فإنه يتمكن من الرد بإجابات واضحة مدعمة بأدلة على اعتراض أو أسئلة المتعلم. مما يزيد درجة الاقتناع والفهم.

جـ- كما أن للحوار تأثيراً على السلوك، فهو يزيد من ثقة المتعلم بنفسه، وينمي لديه المهارات الذاتية وتنمية تفكيره، ويجعله باحثاً عن الحقيقة لا متلقياً لها فحسب، كما أنه يزيد من كفاءته في الإقناع وبيان الحقائق.

د- والحوار يزيد المتعة في التعليم، لدى العالم والمتعلم على حد سواء، وذلك بالخروج عن جو التلقين الذي يقلل من دور المتعلم في التعلم، فالحوار يزيد من التفاعل بين المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، وبذلك يقلل الملل والنفور من المتعلم، بالإضافة إلى أن الحوار يضفي متعة يتبادلها الجميع أثناء التعليم، لتستمر العملية التعليمية .

وقصة موسى مع العبد الصالح ملأى بأمثلة حوارية أثناء العملية التعليمية. ففي بداية اللقاء بينهما عندما طلب موسى منه الصحبة بقوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[1]، ردَّ الخضر محاوراً بإجابة واضحة مدعمة بالدليل: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾﴾[2]، فرد موسى ﷺ بكل آداب الحوار مع العلماء مظهراً تصميمه على طلبه: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[3]، فعلم الخضر وشعر بإصرار موسى من خلال

(١) سورة الكهف، الآية: (٦٦).

(٢) سورة الكهف، الآيات: (٦٧، ٦٨).

(٣) سورة الكهف، الآية: (٦٩).

حواره- وبحبه للعلم وصبره عليه، فقبل بذلك ولكن بشرط: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِى فَلَا تَسۡـَٔلۡنِى عَن شَىۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرًا ۝٧٠﴾[1].

وفي منتصف اللقاء، وبعد الانطلاق، استمرت العملية الحوارية من موسى بإظهار الاعتراض ومن الخضر بالتوجيه والتذكير، حتى وصلا إلى نهاية الرحلة ليكشف الخضر لموسى أسرار أعماله، فينتهي الحوار بينهما وقد عاد موسى عليه السلام بفوائد جمّة.

ثالثاً: القدوة:

وقد استخدم الخضر هذا الأسلوب مرات عديدة، ليعطي موسى عليه السلام نموذجاً عملياً في حب الخير للناس، فبعد أن وصلا إلى قرية في طريق رحلتهم، طلبوا من أهلها طعاماً، فرفض أهل القرية إطعامهم، وشاهد الخضر ذلك السور الذي يوشك على الانقضاض، فأراد أن يعلم موسى بالقدوة وجوب الإحسان إلى الآخرين وحب الخير لهم، وعدم إطلاق الحكم على جميع أهل القرية لأن فيها أُناساً صالحين، فشيّد السور.

وقد كان ذلك -التربية بالقدوة- في الحادثة الأولى والثانية، بعد أن كشف له الخضر عن أسرار أعماله من خرق للسفينة وقتل للغلام، فلم يقصد من هذه الأفعال سوى خدمة الآخرين. فكان قدوة عملية لموسى عليه السلام، بأن يكون معاوناً ومساعداً للآخرين.

وما أحوج النشء في كل عصر من العصور إلى نماذج عملية تكون بمثابة منارات يهتدون بها في حلك الظلام، لأنه إن فُقدت هذه القدوات وتلك المنارات، فسيغدو الجيل تائهاً ضائعاً.

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٧٠).

والمعرفة التي تصل إلى المتعلم عن طريق المشاهدة العملية -بالذات للسلوكيات- أدعى في الفهم والاتباع من تلك المعارف التي ترفع لافتات الشعارات فحسب، فالأخيرة لا تعدو أن تكون محفوظات تُسمع ثم تنسى، أما الأولى فإنها قدوات تطبق على أرض الواقع، وهذا هو الإسلام، دين واقعي عملي، يرفع شعاراً ويوجد له طريقاً عملياً واقعياً للوصول إليه، فقد رفع -مثلاً- شعار التكافل الاجتماعي ونادى به، وأوجد طرقاً عملية لضمان واقعيته، منها الزكاة، ونظام نفقات الأقارب، والصدقات، والكفارات .. وهذا هو شأن الإسلام في جميع أركان تشريعاته، يعمل على إيجاد نماذج عملية حية يُقتدى بها ويفهم الإسلام من خلال تطبيقها له، وسيرة محمد ﷺ وصحابته خير مثال.

وعادة يكون تأثير القدوة أكثر ما يمكن عندما يكون شخصاً مشهوراً ومعروفاً بعلمه وبخاصة أمام المتعلمين. ولذلك شرَّفنا ربنا بالاقتداء بخير الأنام. وما زال هذا ماثلاً أمام عيوننا. ولكن كل ما نحتاجه هو أن نطبق ونتمثل ما جاء به هذا القدوة، ونمثله عملاً وقولاً

رابعاً: تنمية التفكير:

وذلك باستثارته، وتحفيز العقل على التفكير والتأمل، ووضع فرضيات يعمل المتعلم على تجريبها ليصل إلى الحقيقة، وأثناء ذلك كله تنمو طرق التفكير عنده، ويتعلم بذاته طرق تفكير جديدة، ويصل -أيضاً- إلى معلومات واسعة لم يكن يعلمها من قبل.

وقد ندد القرآن الكريم بالمقلدين، لأنهم يحجرون على عقولهم، ويفكرون بعقول غيرهم، فلا يفسحون مجالاً لتنمية عقولهم، فقد قال سبحانه على

لسان الفتية: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍ بَيِّنٍ﴾[١] «أي أن انعدام الدليل لا يدل على عدم المدلول، ومن الناس من يحتج بعدم الدليل على عدم المدلول، ويستدل على صحة هذه الطريقة بهذه الآية. فقال إنه تعالى استدل على عدم الشركاء والأضداد بعدم الدليل عليها، فثبت أن الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول طريقة قوية، ثم قال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[٢] يعني أن الحكم بثبوت الشيء مع عدم الدليل عليه ظلم وافتراء على الله وكذب عليه، وهذا من أعظم الدلائل على فساد القول بالتقليد»[٣].

وقد فسح الخضر لموسى ﷺ مجالاً واسعاً للتفكير، والبحث والتأمل في أسباب أعماله وأسرارها، نعم قد منعه من السؤال، لكنه لم يمنعه من التفكير، بل كان منعه من السؤال من أكبر الأدلة على أن الخضر أراد من موسى أن يضع فرضيات ويجربها ويحفز عقله وفكره، علّه يصل إلى بعض المعارف أثناء هذه المحاولات.

والمتأمل في نظم القرآن يلمس مدى حث آياته عقل الإنسان على الانطلاق في أرجاء هذا الكون متأملاً مفكراً، ليصل إلى المعرفة الأولى وهي وجود الله سبحانه والإيمان به، فقال سبحانه ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٤] وقال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾[٥]، وقال جل

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٥).

(٢) سورة الأنعام، الآية: (١٤٤).

(٣) الرازي، الفخر: التفسير الكبير، ج:٢١، ص:٩٨.

(٤) سورة يونس، الآية: (١٠١).

(٥) سورة الذاريات، الآية: (٢٠).

وعلا: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1].

وهذا الأسلوب التعليمي يثري العملية التعليمية والتربوية، إذ من خلاله تتكون الشخصية العلمية للطالب، لينطلق معتمداً على ذاته في النظر والتأمل والتفكر، فيتسع أفقه وتزداد معارفه، ويصل إلى حد طلب الابتكار والتطوير، كما يزيد من ثقة الطالب بنفسه سواء عندما يرى في نفسه القدرة على طرح التساؤلات ووضع الفرضيات ودراستها، أو عندما يستطيع أن يصل إلى الحقيقة المبهمة بنفسه، كما يعمل هذا الأسلوب على زيادة الرغبة في تحصيل العلم عند الطالب، لأن الإنسان بطبعه فضولي يحب أن يكتشف أسرار الأشياء بنفسه، فإذا ما استطاع المعلم إثارة التفكير عند المتعلم اتجاه قضية ما بأسلوب مشوق، فإننا نجده يصرف جُلَّ وقته في اكتشافها والبحث عن حقيقتها واستقصائها، حتى يصل إلى مرحلة متقدمة من مراحل التفكير ألا وهي التحليل والتركيب.

كما أن المتعة العلمية -التي غالباً ما تكون سبباً في الاستمرار على التعلم- الناتجة عن استخدام هذا الأسلوب أكبر بكثير من المتعة الناتجة عن أسلوب التلقين مثلاً، الأمر الذي من شأنه أن يزيد إقبال المتعلم بشكل كبير على التعلم والعلم.

خامساً: الشرح والتوضيح

إذ يقوم العالم ببيان معنى المعلومة إن كان فيها إبهام لا يفهمه الطالب، فيشرح ويوضح لتكتمل الصورة الصحيحة للمعرفة، فلا يبقى في نفس الطالب سؤال أو استفهام.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: (٢١).

وقد صدر هذا الأسلوب من الخضر مع موسى عليه السلام في العديد من المواقف، كان أولها في بداية اللقاء، عندما رفض الخضر صحبة موسى له، فوضح وعلل سبب ذلك وهو: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨﴾(١)، فموسى لن يصبر على الخضر، وزيادة في التوضيح علل ذلك بأن الإنسان فاقد الصبر على ما لا يعلم من التصرفات، إذ سيبدأ بالاعتراض والسؤال، فاتضح الأمر عند موسى عليه السلام، بعد شرح وتعليل الخضر لموقفه من صحبة موسى، وذلك أن الخضر يخشى عدم قدرة موسى على الصبر، فطمأنه بقوله: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩﴾(٢).

فوصول حقيقة المعلومة، واكتمالها في ذهن المتعلم قد يكون عن طريق الشرح والتوضيح والبيان، خاصة في حالة عدم قدرة المتعلم على استيعاب الموقف استيعاباً ذاتياً.

ومرة أخرى يعاود الخضر استخدام هذا الأسلوب، وذلك عندما لم يستطع موسى -عليه السلام- فهم أعماله الثلاث من خرق للسفينة، وقتل للغلام، وبناء للسور، فبدأ بالشرح والتوضيح ليكشف له عن تلك الأسرار وأسباب وجودها، لتهدأ نفس موسى عليه السلام بعد أن اتضحت المعلومة لديه بعد هذا الشرح المعلل.

ويلاحظ أن هذا الأسلوب -في جميع الحالات السابقة- كان يعتمد على تقديم علة مقنعة أو دليل يدعم هذا الشرح، وهذا ما يجب أن يتصف به

---

(١) سورة الكهف، الآيات: (٦٧-٦٨).

(٢) سورة الكهف، الآية: (٦٩).

شرح العلماء في كل العصور، أن يُبنى على علة قوية ودليل صحيح، لأن في تحقيق ذلك:

١- ترسخ المعلومة في ذهن المتعلم، أما الشرح الذي لا يحتوي على تعليل ولا دليل، فإنه لا يعدو أن يكون كلاماً بعيداً عن ذهن الطالب وفهمه.

٢- إظهار احترام المعلم لعقل المتعلم، فالمعلم الذي يُجبر الطالب على قبول توضيحه وشرحه الخالي من الدليل والعلة، إنما ذلك إهانة لهذا العقل وقدراته، إذ يحجر عليه ويمنعه من الانطلاق والتفكير والموازنة بين الأدلة، ليعترض أو ليناقش ليثري العملية التعليمية. أما المعلم الذي يعلل ويقدم الأدلة، فإنه بلا شك يثير تفكير الطالب وعقله، فيضع الفكر الذي أمامه في مكانه الصحيح من الانطلاق والنظر والتأمل في علة هذا الشرح، فإما أن يقبل بها، أو يعترض عليها، فتزداد العملية التعليمية نجاحاً.

٣- إظهار التمكن العلمي لدى العالم، فهناك فرق علمي واضح بين ذاك الذي لا يتكلم شارحاً أو موضحاً إلا بدليل وعلّة، وبين من لا يقدم علة ولا دليلاً على كلامه.

صفات طالب العلم

كما أن للعالم صفات يجب عليه أن يتحلى بها، كذلك لطالب العلم صفات يطلب منه أن يلتزم بها، وقد بينت الآيات عدداً منها:

أولاً: أن يكون هدفه من التعليم تحصيل الرشد:

وهذا ما أظهره موسى من هدف الارتحال إلى الخضر، فقد قال له: ﴿هَلْ

﴿أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[١]، أي: «علماً ذا رشد أرشد به في ديني»[٢]، «فهو يريد أن يتعلم الرشد، يتعلم ليكون راشداً رشيداً ومرشداً، يتعلم العلم النافع الصحيح الذي يوجد عنده الرشد، ويجعله يتعامل مع الناس برشد، ويعيش بينهم برشد»[٣]

«والمقصود من الرُّشد -الهداية»[٤] «والإرشاد الأمر الذي لو لم يحصل لحصلت الغواية والضلال»[٥]، وهو هدف التربية والتعليم في الإسلام ؛ أن يحقق المسلم الهداية في حياته، إذ ينبغي على طالب العلم أن يضع هذا أمام عينيه ليصقل كل تصرفاته العلمية منها والحياتية على هذا الهدف، فيضبط سلوكه على ما يحبه الله ويرضاه، ويقبل على طلب العلم إقبالاً لا مثيل له، ويلتزم بالآداب المطلوبة منه أيّما التزام، ثم يسعى جاهداً لتطبيق ما تعلم في حياته ليعمر الدنيا عمارة توصله إلى الآخرة التي وعدها الله لعباده المتقين في جنات عرضها السموات والأرض.

إن التربية الإسلامية تحقق الرشد الحقيقي للنفوس، فتسمو بها عن جميع القيم الدنيوية التافهة وتعمل على زرع حب الخير في النفوس وتهيئ الإنسان ليكون عضواً فاعلاً منتجاً في المجتمع، وتوجه هذا الإنتاج نحو الخير الحقيقي لكل المجتمعات، لأن الهداية الحقيقية تعلم حب الخير للآخرين، واحترام عقولهم وقدراتهم، وتدعو إلى التنافس الشريف الذي يثري المعرفة بجميع أنواعها، حسب أسس راسخة تعالج حقيقة طبيعة النفس الإنسانية

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٦).

(٢) النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي، ج٣، ص١٩.

(٣) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص٢١٢.

(٤) هارون، عبد السلام وآخرون: المعجم الوسيط، ج١، ص٣٤٧.

(٥) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٢١، ص١٥١، ١٥٢.

وترشده إلى السلوك الذي يعمر الدنيا ويؤمن الحصول على الجنة بإذن الله. دون انحرافها عن مسارها الصحيح.

ثانياً: أن يكون مستعيناً بالله:

وهذه الصفة تتبع السابقة وتنبثق عنها، فمن مظاهر الهداية أن يكون طالب العلم مستعيناً بالقوة العظمى، قوة الله سبحانه، ومما يعين على ذلك: إخلاص النية لله واستشعار رقابته دائماً، يقول سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[1]، ومن أوجه العبادة العلم، الذي يجب أن يخلص الطالب فيه لله.

ومما يظهر الاستعانة عند موسى عليه السلام في رحلته مع الخضر قوله له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾[2]، فقد علق تحقق الصبر في طلب العلم على الله سبحانه فقال: ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي سأكون صابراً بمساعدة الله لي في ذلك. وهذا دليل الاستعانة.

ومن فوائد تحقق الاستعانة: تيسير أمور علمه، من خلال الرعاية الإلهية له، فلن يخذل الله طالب علم قد لجأ إليه، ثم إن فيها طمأنينة لنفسه، فعندما يشعر بارتباطه بالقوة العظمى يندفع بثقة نحو التعلم والتعليم، وقد ملأت الهمة نفسه والسكينة قلبه، فيكون أدعى في الاستفادة والإفادة .

---

(١) سورة البينة، آية: (٥).

(٢) سورة الكهف، آية: (٦٩).

ثالثاً: الحرص والصبر على طلب العلم:

ويظهر ذلك من قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝﴾[١]، فكأننا به -وهو يطلب ذلك- قد ملأ الرجاء قلبه أن يقبل ما سأله، وما هذا إلا دليل حرصه على العلم، والاتباع يحمل في طياته معاني الصبر فهو يحتاج إلى طاعة وتحمل وصبر.

وفي قوله عليه السلام للخضر بعد مضي الحوار بينهما: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝﴾[٢] إشارة واضحة إلى ما ينبغي على طالب العلم أن يتحلى به من صبر على طلب العلم. أضف إلى ذلك، مكثه عليه السلام معه بالرغم مما رأى من تصرفات -ربما- لا تطاق في نظر الكثيرين، لكن حرصه على العلم دفعه إلى الاستمرار معه صابراً على ما كان منه . وفي خروجه -ابتداء- لأجل ملاقاته، والصبر على مشاق السفر، أكبر دليل على حرصه عليه السلام على العلم .

ومما يذكر في هذا المقام عن حرص السلف على العلم وصبرهم على طلبه، ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه «كان يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، يريد أن يسأله عن الحديث، فيقال له: إنه نائم، فيضطجع على الباب. فيقال له: ألا نوقظه؟ فيقول لا»[٣]، -وكذلك- ما رواه الربيع بن سليمان المرادي -صاحب الشافعي- أنه قال: «لم أر الشافعي رحمه الله آكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاشتغاله بالتصنيف»[٤].

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٦).

(٢) سورة الكهف، آية (٦٩).

(٣) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي: جامع بيان العلم وفضله، جا، ص٩٤.

(٤) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٢٨.

وقد قال الإمام الشافعي رحمه الله:

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد أضاع العمر في طلب المحال[١]

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

يا طالب العلم بادر الورعا وهاجر النوم واهجر الشبعا
لا يحصد المرء عند فاقته إلا الذي في حياته زرعا[٢]

ومما يعين على الصبر في طلب العلم، ذلك الشعور بلذة العلم والمعرفة، التي لولاها لما خرج موسى ﷺ باحثاً عن الخضر، فقويت همته وزاد حماسه عندما فقدا الحوت؛ لأنه علم أنه عند ذاك المكان الذي فقد فيه الحوت سيجد ما يبحث عنه من لذة في طلب العلم .

ومما قيل في لذة العلم ما روي عن الإمام الماوردي أنه قال: «العلم عوض من كل لذة، ومغن عن كل شهوة .. ومن تفرد بالعلم لم توحشه خلوة، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوى .. فلا سمير كالعلم ولا ظهير كالحلم»[٣]. داعياً هذا العالم -رحمه الله- تلاميذه إلى الشعور بلذة العلم الحقيقية، حاثاً لهم على تقديمها على أي متاع، حتى يقبل الواحد منهم بإخلاص كامل وحب لا مثيل له على العلم فتتحقق الفائدة المرجوة منه.

ومما يعين على الصبر والحرص على طلب العلم، استشعار الطالب أن

---

(١) الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الشافعي، ص٩٠.
(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبد اله القرطبي: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج١، ص٦٦٨.
(٣) الماوردي، علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، ص٧٦.

العلم سبب في إبعاد الجهل ورفع الضعف، ألم تلحظ كيف أن علم ذي القرنين وقوته قد رفعا الظلم عن القوم القابعين بين السدين؛ الذين كان الجهل مانعاً لهم من أن يجدوا حلاً جذرياً لمشكلتهم مع يأجوج ومأجوج، فقد وصفهم الله سبحانه بأنهم: ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾[1]، فبقوا في ذلهم إلى أن جاءهم من استطاع بعلمه أن يبني ردماً لتنتهي مرحلة الشدة التي خيمت عليهم بسبب جهلهم.

ومما قاله الشافعي رحمه الله في هذا المقام:

ومن لم يذق مر التعلم ساعة   تجرع ذل الجهل طول حياته
وذات الفتى والله بالعلم والتقى   إذا لم يكونا لا اعتبار لذاته[2]

رابعاً: الإصرار على طلب العلم وعدم الاشتغال بالدنيا:

وهذه من الصفات التي تعين على تحصيل العلم، وتظهر النية الصادقة عند طالب العلم في تحصيل المعرفة، وتذلل الصعوبات التي قد تعترض طريق تعلمه، وتزيد من حماس المعلم، وتدفع همته وهمة من حوله لمزيد من طلب العلم .

وهذا ما كان من موسى عليه السلام ؛ كان مصراً على طلب العلم بشكل منقطع النظير، فقد أظهرت الآيات ذلك بجلاء، عندما كشفت لنا عن الحوار السريع الذي وقع بين موسى وفتاه، الذي أظهر تلك الصفة في موسى فقال: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[3] «فهو يعلن

---

(١) سورة الكهف، آية: (٩٣).

(٢) الشافعي، محمد بن إدريس، ديوان الشافعي، ص٤١.

(٣) سورة الكهف، آية: (٦٠).

تصميمه على بلوغ مجمع البحرين مهما تكن المشقة،ومهما يكن الزمن الذي ينفقه في الوصول، وهو يعبّر عن هذا التصميم بما حكاه القرآن من قوله ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾»[١].

وقد نبه العلماء قديماً على هذه الصفة من خلال الابتعاد عن الانشغال بالدنيا، فهذا أبو حامد الغزالي يوصي تلاميذه بها، فيقول في معرض الحديث عن آداب المتعلم: «أن يقلل علائقه بالدنيا»[٢]. وهذا ابن جماعة يقول في معرض الحديث عن آداب المتعلم: «..ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل فإنها كقواطع الطريق»[٣]، إذ لا يتصور اجتماع حب الدنيا والإقبال عليها بكليته مع حب العلم والسعي والتضحية والإصرار على طلبه.

آداب طالب العلم مع المعلم:

من الآداب التي يجب على طالب العلم أن يراعيها أثناء طلبه للعلم، تلك الآداب التي تخص علاقته مع معلمه، لتضبط طريقة تعامله معه، سواء في أسلوب التعامل من تواضع وطاعة، أو أساليب خطاب العلماء من: وجوب الإنصات للعالم، والاستئذان وعدم الجزم عند الطلب، وما يتبع ذلك من آداب السؤال، وآداب الاعتذار للعالم عند وقوع المتعلم في الخطأ.

وقد كان لتلك الآداب الحظ الوافر من وصايا العلماء المسلمين

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٧٨.

(٢) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: في آداب العالم والمتعلم، ج١، ص٦٧.

(٣) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٧٠.

لتلاميذهم، بهدف إخراج جيل يحترم العلم باحترامه للعلماء -إذ إن افتقار نفوس المتعلمين لاحترام العلماء لدليل على التخلف العلمي، وعدم احترام ذات العلم- فها هو علي ابن أبي طالب ﷺ يقول: «إن من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال، ولا تعنته في الجواب، ولا تلح عليه إذا كسل، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تفشي له سراً، ولا تغتابن أحداً عنده، ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته، وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى، ولا تجلس أمامه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته»(١).

وسنتحدث في هذا المطلب عن آداب المتعلم مع العالم كما أظهرتها الآيات القرآنية في قصة موسى مع الخضر في سورة الكهف.

أولاً: التواضع مع العالم:

فمن أولى الصفات التي يلزم الطالب في اتباعها مع معلمه التواضع، لأنه دليل على حب واحترام الطالب للعلم، ويعد مقياس جديته في طلب العلم وسعيه له وحرصه عليه، كما ويظهر مدى التربية الواعية عند الطالب والذوق الرفيع الذي يتحلى به والسلوك القويم الذي يلتزم به، الأمر الذي يلزم المعلم باحترام الطالب، ويدفعه إلى إفادته وإرشاده نحو الخير .

وهذا ما كان في أسلوب موسى عليه السلام مع الخضر؛ «كان أسلوباً وديعاً يعبر عن روح التواضع للعلم والعلماء، من دون النظر إلى طبيعة المركز الاجتماعي أو الديني الذي يقف فيه العالم والمتعلم .. فنحن نجد الأدب الرسالي في هذه الكلمات الهادئة المتعطشة للعلم التي خاطب بها موسى هذا

---

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، جـ١، ص٥١٩.

العبد الصالح ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[(١)]، أنظر إلى قوله «تعلمن»، «الذي يدل على إقراره ﷺ على نفسه بالجهل وعلى أستاذه بالعلم»[(٢)] تواضعاً له، ثم أنظر إلى قوله له: «مما علمت»، «فصيغة (من) للتبعيض فطلب منه تعليم بعض ما علمه الله، وهذا أيضاً يدل على التواضع، كأنه يقول له: لا أطلب منك أن تجعلني مساوياً في العلم لك، بل أطلب منك أن تعطيني جزءاً من أجزاء علمك، كما يطلب الفقير من الغني أن يدفع إليه جزءاً من أجزاء ماله»[(٣)].

وفي موضع آخر قال موسى للخضر ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[(٤)] بأسلوب يفيض «بتواضع شديد وإظهار للتحمل التام .. وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات»[(٥)] . وأينما تجولت في قصة موسى تلمس مدى تحقق تلك الصفة فيه ﷺ مع معلمه.

والناظر إلى سيرة سلفنا يلمس مدى التزامهم بهذه الصفة، فها هو ابن عباس رضي الله عنه مع جلالة قدره ومرتبته يأخذ بركاب زيد بن ثابت الأنصاري ويقول هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، وكان الشافعي رحمه الله يقول: كنت أصفح الورقة بين يدي مالك صفحاً رفيقاً هيبة له لئلا يسمع وقعها، وقال الربيع: «والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له»[(٦)]، وقد

---

(١) فضل الله، محمد حسين: الحوار في القرآن الكريم، ص٢٨٧.
(٢) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٢١، ص١٥١، ١٥٢.
(٣) المصدر السابق: ج٢١، ص١٥١، ١٥٢.
(٤) سورة الكهف، آية: (٦٩).
(٥) الفخر الرازي: التفسير الكبير، ج٢١، ص١٥٣.
(٦) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، ص٨٧، ٨٨.

روي عن الإمام النووي -رحمه الله- قوله: «ينبغي على طالب العلم أن يتواضع للعلم والمعلم، وقد أمرنا بالتواضع مطلقاً فهذا أولى، وينقاد لمعلمه ويشاوره في أموره ويأتمر بأمره، كما ينقاد المريض لطبيب حاذق ناصح»[١]، أما الغزالي رحمه الله فيقول وهو يوصي طلابه في كتاب الإحياء «بأن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم»[٢].

ثانياً: حضور القلب وحسن الاستماع:

الدالة على جدية الطالب في طلب العلم، الدافعة للمعلم نحو إفادته، الجاعلة العملية التعليمية منتجة مثمرة، فعلى الطالب أن يحقق هذه الصفة ؛ أن يكون ذا تركيز عال، مستجمعاً فكره وعقله فيما يقوله المعلم، وأن ينصت لكلامه وينتبه لحركاته وسكناته. وأن يكون أبعد ما يكون عن السهو، الذي عده علماء الحديث سبباً في ضعف رواية الراوي وردها، فقد ذكر الدكتور نور الدين عتر أن: «من أسباب عدم قبول رواية الراوي: كثرة السهو .. لأن كثرة السهو تدل على سوء الحفظ أو التغفيل، فلا يكون الراوي ضابطاً»[٣].

وقد حثنا القرآن الكريم على حضور القلب وحسن الاستماع، فقد وصف الله سبحانه المؤمنين في كتابه بها وكأنها صفة ملازمة لهم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[٤]. «وهو

---

(١) النووي، يحيى بن شرف: المجموع شرح المهذب، ج١، ص٣٦.

(٢) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: في آداب العالم والمتعلم، ج١، ص٦٨.

(٣) عتر، نور الدين: منهج النقد في علوم الحديث، ص٨٦.

(٤) سورة ق، آية: (٣٧).

شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي إليه بحسن الإصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة»[١].

وهذا ما كان من موسى ﷺ في رحلته مع الخضر ؛ كان منصتاً له في بداية اللقاء عندما نبهه إلى ترك سؤاله، وقد كان حاضر القلب منتبهاً لما يصدر من الخضر من أفعال بعد الانطلاق في الرحلة، ودليله تلك الأسئلة التي كان يوجهها بعد كل حادثة، إذ لو لم يكن حاضر القلب متيقظاً، لما تابع أفعال الخضر وسأله مستفسراً أو مستنكراً عن كل فعل منه، وقد كان حاضراً في آخر الرحلة بإنصاته له عندما بدأ الخضر ببيان أسرار ما وقع منه، وموسى ﷺ يستمع بقلب حاضر وعقل متفتح، دون أن يقطع عليه حديثه، لاهتمامه بتلك التعليلات .

ولحضور القلب وحسن الاستماع فوائد عديدة لطالب العلم منها:

أ- أنها سبب في تحصيل الفهم والاستيعاب بأعلى درجاته، إذ لا طريق لوصول المعرفة إلى القلب بلا حسن حضور وجلاء تركيز فيما يقوله المعلم ويفعله.

ب- كما يعتبر من أدعى أسباب استمرار المعلم في التعليم، لأن شعور المعلم بعدم تركيز الطالب، من شأنه أن يعيق العملية التعليمية، فيتوقف عطاء المعلم وتفتر همته عن الإفادة. وهذا ما يؤكد ضرورة تنويع المعلم في أساليبه ووسائله وتقنياته لاستمرار استجابات المتعلم، والاستمرار في ذلك في أثناء التعليم.

---

(١) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: آداب العالم والمتعلم، ج١، ص٦٨.

جـ- وهي كذلك سبب في إيجاد الجدية في الأفعال، وترك اللامبالاة، التي غدت من صفات الطالب في هذه الأيام، فلا تكاد تجد إلا النزر اليسير من الطلبة يتمتعون بالجدية في طلب العلم من خلال تركيزهم وحسن استماعهم .

ثالثاً: الأدب في مخاطبة العالم:

ومما يتوجب على طالب العلم مراعاته مع العالم أن يتعلم حسن الأدب في الخطاب مع العلماء، فيلتزم اللطف في خطابه، والتواضع في حديثه، واللين في سؤاله، وعدم الجزم في طلبه .

ومن أنواع الأدب في الخطاب مع العلماء:

١- آداب السؤال:

فلا بد أن يلتزم الطالب بآداب عدة أثناء توجيه سؤال للمعلم طالباً أو مستفهماً عن أي أمر، ومن تلك الآداب:

أ- التلطف في السؤال وعدم الجزم عند الطلب

فإذا أراد الطالب من معلمه أمراً، فعليه أن يتلطف في الطلب والخطاب، لأن هذا سبب في استجابة المعلم عند مقدرته على ذلك، وهو سبب في زيادة قرب الإنسان ممن يخاطبهم، أضف إلى ذلك أنه يظهر مدى الجدية والحرص والإقبال على العلم الذي يتمتع به الطالب، فيجلب الاستفادة العلمية .

وهذا ما كان من موسى عليه السلام، عندما خاطب الخضر قائلاً : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾﴾[1]، «بأدب لائق بنبي، يستفهم ولا

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٦).

يجزم»[١]، فسؤاله هذا «سؤال الملاطف، والمخاطب المستنزل المبالغ أحسن الأدب»[٢]، يخاطبه على استحياء راجياً منه الموافقة والقبول في منحه ما يريد من تحصيل الرشد، ليكون ذلك أدعى في استجابة الخضر لطلبه .

أما أولئك الذين يجزمون في طلبهم وسؤالهم من العالم، فهم أبعد ما يكونون عن الأدب الواجب مع المعلم، وأسلوبهم هذا دليل على التكبر الأمر الذي يدفع المعلم إلى عدم الاستمرار في إفادتهم .

ولا يخفى أن طلاب العلم هذه الأيام خاصة في المدارس- هم أشد الأجيال حاجة إلى تطبيق هذا الخلق مع المعلم إذ لا نجد إلا النزر اليسير ممن يوجهون طلبهم من المعلم بالأدب المطلوب.

ب . ترك السؤال في غير أوانه:

لأن السؤال في غير أوانه من الأسباب التي تعيق العملية التعليمية، «لأن السؤال قد يصادف وقت اشتغال المسؤول بإكمال عمله، فتضيق له نفسه، وربما كان الجواب عنه بدون شره نفس، وربما خالطه بعض القلق فيكون الجواب غير شاف»[٣].

وقد يكون المعلم قد أخّر الكشف عن التفسير لعلة يريد تحقيقها، أو لعلمه بما يصلح للمتعلم، أو لدرايته بأفضل أوقات الكشف، ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال بقوله له: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾[٤]، أي «لا تفاتحني بالسؤال عن شيء

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٧٩.
(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج١١، ص١٧.
(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج١٥، ص٣٧٣، ٣٧٤.
(٤) سورة الكهف، آية: (٧٠).

أنكرته مني، ولم تعلم وجه صحته، حتى ابتدؤك ببيانه»[١]، «فإن السؤال عما لم تبلغ إلى فهمه مذموم، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له، وبأوان الكشف، وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه»[٢].

إذاً .. من أجل اكتمال العملية التعليمية واستمرار سيرها، لا بد من ترك توجيه السؤال في غير أوانه، وإظهار الثقة بالمعلم في انتظار تقديم الكشف عن الأسرار والأعمال والأسئلة التي يكون المعلم أعلم الناس بوجودها في ذهن الطالب.

٢- الاعتذار:

وهو من الآداب التي ينبغي على طالب العلم أن يلتزمها في خطابه مع العالم، فيعتذر له إن بدر منه أي نوع من أنواع التقصير، أو السهو، أو الخطأ المتعمد أو غير المتعمد، وهذا من الأخلاق الإسلامية التي ينبغي على المسلم أن يلتزم بها مع عامة الناس، فكيف به مع العالم، فإنه أدعى أن يلتزم به معه.

وقد نبه الإمام النووي على ذلك بقوله: «وإذا جفاه الشيخ ابتدأ هو بالاعتذار وأظهر أن الذنب له والعتب عليه، فذلك أنفع له ديناً ودنيا، وأبقى لقلب شيخه، وقد قالوا: من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره في عماية الجهالة، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الآخرة والدنيا»[٣].

ومن الأمثلة العملية على هذا الأدب مع العالم في قصة موسى ما يلي:

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، جا١، ص٤٠٨٠.

(٢) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، جا، ص٦٩.

(٣) النووي، يحيى بن شرف: المجموع شرح المهذب، جا، ص٣٧.

أ- اعتذار فتى موسى له عند نسيان الحوت بقولـه: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾[1] «نعم هو الذي نسيه، الفتى وحده، وما أجمل هذا الاعتذار المقنع»[2] الذي أظهر فيه غاية الأدب والتربية والاهتمام بشعور العالم.

ب- اعتذار موسى للخضر. فبعد أن وعده ترك سؤاله عما سيصدر منه بناء على شرطه، نسي موسى ﷺ فسأله معترضاً على خرقه السفينة، فما لبث ﷺ أن تدارك هذا الخطأ معتذراً اعتذاراً مفعم بالحياء من المعلم لأنه أخلف وعده معه فقال له: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾﴾[3].

رابعاً: الطاعة فيما لا يخالف أمر الله:

إذ لا يتصور أن تتم العملية التعليمية بشكلها الصحيح إن لم «يكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطراً غزيراً فشربت منه جميع أجزائها، وأذعنت بالكلية لقبوله، ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه»[4]. ذو طاعة واعية لأمره. «لا يخرج عن رأيه وتدبيره، بل يكون معه كالمريض مع الطبيب الماهر فيشاوره فيما يقصده»[5].

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٣).

(٢) عباس، فضل حسن: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص٣١٧.

(٣) سورة الكهف، آية: ٧٣.

(٤) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: العلم، باب: في آداب المتعلم والمعلم، ج١، ص٦٨.

(٥) ابن جماعة الكناني: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص٨٧.

وهذا ما كان من موسى ﷺ مع معلمه، إذ أعلن الطاعة للخضر في قوله له: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ۝٦٩﴾[1]، وقد طبق ذلك، «فأطاعه في شرطه الذي شرطه من عدم السؤال عما سيفعل كائنا ما كان»[2]، دون أن يبدي أي اعتراض على الشرط.

أما ما وقع من موسى ﷺ من مخالفة لهذا الشرط بعد المسير فليس فيه مخالفة للطاعة، لأنه كما هو ظاهر من الآيات قد نسي بعد الحادثة الأولى ولم يتعمد مخالفة أمره وسارع بالاعتذار فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذۡنِي بِمَا نَسِيتُ﴾[3]، فلا يؤاخذ الطالب على نسيانه.

أما اعتراضه في الثانية فلأن فعل الخضر كان «قتل عمد لا مجرد احتمال، وهي فظيعة كبيرة -حسب المنطق البشري الذي فطر عليه- لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده: ﴿قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ۝٧٤﴾[4] فليس ناسيا هذه المرة ولا غافلا؛ ولكنه قاصد. قاصد أن ينكر هذا المنكر الذي لا يصبر على وقوعه لا يتأول له أسبابا والغلام في نظره بريء، لم يبلغ الحلم حتى يكون مؤاخذا على ما يصدر منه»[5]. وكأنه أراد أن يعلمنا ﷺ أن الطاعة في دين الله طاعة واعية مقيدة بما لا يخالف أمر الله، فالمسلم ينقد ويحلل ولا يكون إمعة، فما وافق الشرع فله الطاعة المطلقة، وما كان في ظاهره مخالفة فلا بد فيه من

---

(١) سورة الكهف، آية: (٦٩).

(٢) مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف ج٥، ص١٤٦. بتصرف يسير.

(٣) سورة الكهف، آية: (٧٣).

(٤) سورة الكهف، آية (٧٤).

(٥) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٨٠.

الاعتراض والسؤال حتى يستبين الأمر، فما صدر منه عليه السلام لا يعد عيباً أو تقصيراً، فهذه من مستلزمات الفطرة السليمة؛ أن تعترض على قتل غلام، حتى وإن كان الفعل صادراً من المعلم، بل من العيب على الإنسان أن يرى ذلك ويسكت.

أما الاعتراض الثالث، فقد كان أسلوبه أبعد ما يكون عن الاعتراض المباشر، فتكلم معه بأدب السؤال مقترحاً أن يأخذ على ما فعل أجراً: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾[1]، «إذ شعر عليه السلام بالتناقض في الموقف. ما الذي يدفع هذا الرجل أن يجهد نفسه ويقيم جداراً يكاد ينقض في قرية لم يقدم لهما أهلها الطعام وهما جائعان، أفلا أقل من أن يطلب عليه أجراً يأكلان منه»[2]. وبهذا يتبين أن للطالب حق التفكير في أفعال المعلم، وإذا أراد الاعتراض فيجب أن يقدمه بأسلوب لطيف لين يظهر مدى احترام العالم وتقديره.

---

(١) سورة الكهف، آية: (٧٧).

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٨٠.

المبادئ الأساسية للتربية العملية

عرضت الآيات الكريمة في قصص سورة الكهف العديد من المبادئ الأساسية للعمل التطبيقي، والتي تعد بمثابة القواعد التي تصل بالعمل عند تطبيقها إلى أعلى مستويات النجاح.

وكان من تلك المبادئ، فقه الأولويات بضوابطه المتعددة. ونظرة الإسلام إلى موضوع الخلطة والعزلة.

وقد ضربت الآيات الأمثلة المتعددة على هذين المبدأين من خلال نماذج عملية، طالبة من المسلمين وعلى رأسهم المربين الالتفات إلى هذه المبادئ لتطبيقها وتربية النشء عليها.

فقه الأولويات:

تناولت الآيات الكريمة في قصص سورة الكهف مبدأً عملياً غاية في الأهمية، قاصدة بذلك تنبيه المربين إلى وجوب الالتزام به في العملية التربوية سواء في الممارسات التربوية، أو في العمل على إيجاده كمبدأ حركي في سلوك الناشئة، ذلك هو فقه الأولويات. الذي يُقصد به: «وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه التقديم، أو يقدم ما حقه التأخير، ولا يصغر الأمر الكبير، ولا يكبر الأمر الصغير»[1]. فهو يمكّن الإنسان من اختيار الأفضل من المفضول، وتقديم الأهم على المهم، وتجنب أكبر الضررين بفعل أدناهما إن لزم الأمر، ليصل بعد ذلك إلى ما يصبو إليه من إحقاق الحق وإبطال الباطل بأفضل الوسائل وأقصرها.

---

(١) القرضاوي، يوسف: أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، ص:٣٨.

وقد طرحت الآيات ثلاثة ضوابط في موضوع الأولويات، ينبغي على المسلم أن يراعيها أثناء حركته وهي:

١- تقديم العمل على الجدل

٢- الأكثر مصلحة أولى بالتقديم من الأقل مصلحة.

٣- تقديم أخف الضررين.

الضابط الأول:

من أهداف المسلم في حياته تغيير الواقع أو تطويره من السلبية إلى الإيجابية، ومن الضلال إلى الهداية، ولا يتصور الوصول إلى هذا الهدف بالاكتفاء بالتنظير والجدل فقط، بل لا بد من تجاوز ذلك وتقديم العمل والسعي والإنتاج على أي أمر سواه.

وهذا ما عرضته آيات قصص الكهف في أكثر من موضع، منها:

١- قول الله سبحانه في قصة الفتية: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾[1]، ففي هذه الآية «يوجه القرآن الرسول ﷺ إلى ترك الجدل في هذه القضية، وإلى عدم استفتاء أحد من المتجادلين في شأنهم. تمشيا مع منهج الإسلام في صيانة الطاقة العقلية أن تبدد في غير ما يفيد»[2]. من الجدل السقيم، وتجاوز هذه المرحلة، والاهتمام

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٢٢).

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:٤، ص:٢٢٦٥.

بما هو أولى من تأثر السلوك بمغازي هذه القصة وعبرها وعظاتها.

وهذا ما يجب أن يكون عليه المسلم، وبخاصة في هذه الأيام التي انتشر فيها الجدل والمناظرة دون أن يكون لها أي أثر في تعديل السلوك إلى الأفضل حسب معايير معينة تتفق مع مبادئ الدين الحنيف.

٢- موقف ذي القرنين عندما تجاوز التنظير والجدل ليبدأ بما هو أولى من تفاعل عملي ترجم في بناء الردم فعندما وصل إلى بلاد ما بين السدين وقف القوم شاكين له فقالوا: ﴿يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾[1]، فرد عليهم قائلا: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾[2]، فيتضح من هذا الرد أنه قد أخذ بمبدأ الأولويات، فقدم العمل والإنتاج على الجدل والبحث في أسباب الاعتداء وعدد القتلى ونوع المسروقات .. فكان ناتج ذلك ردما وصفه الله بقوله: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾[3].

فلا بد أن نخرج بأبنائنا من ضيق الجدل والتنظير إلى سعة العمل والإنتاج. وذلك بتدريبهم على أن الأولى تقديم العمل والاهتمام بالإنتاج على الاكتفاء بالجدل والتنظير.

---

(١) سورة الكهف، الآية: (٩٤).

(٢) سورة الكهف، الآية: (٩٥ - ٩٦)

(٣) سورة الكهف، الآية: (٩٧).

الضابط الثاني:

«فإذا تزاحمت مصلحتان لـزم المكلـف الحفـاظ علـى المصلحـة الراجحـة والتضحية بالمصلحة المرجوحة»[1]، وهذا ما بينـه العز بـن عبـد السـلام في كتابه قواعد الأحكام فقال: «إذا تعارضت المصلحتـان وتعـذر جمعـهما فـإن علم رجحان إحداهما قدمت»[2].

وتـم الموازنـة بينـهما عـن طريـق تقديـم الضروريـات علـى الحاجيـات والحاجيات على التحسينيات، فهاهم الفتية قد «عدلوا إلى الأهـم في أمرهـم عنـد استيقاظهم، وهـو احتياجـهم إلى الطعـام والشـراب»[3] كونـه مـن الضروريات لأن فيه حفظا للجسد، وتركوا البحث في مدة لبثهم كونـه مـن التحسينيات، فالضروري أولى بالتقديم من التحسيني.

وهذا من أهـم الاحتياجـات الدعويـة؛ أن يربـى الفـرد علـى القـدرة في الموازنة بين المصالح لتقديم الأولى على غيره، بمعرفة قواعـد استخدام هـذا الضابط.

وفي موضعـين آخريـن تكشـف لنـا الآيـات عـن هـذه الزاويـة مـن فقـه الأولويات بصورة عقدية، إذ تدعونا إلى تقديـم النعيـم البـاقي علـى النعيـم الزائل، فهاهم الفتية قـد تركـوا المـال والأهـل والنعيـم الدنيـوي وراءهـم، متجهين إلى كهفهم فرارا بدينهم، مقدمين الآخرة على الدنيا، والنعيم الدائم على النعيم الزائل. وفي قصة صاحب الجنتين أظهرت لنا حقيقة نعيم الدنيـا مسطرة إياها بزوالها ولو بعد حين، أمـا النعيـم الأهـم والأولى بـالإعداد لـه

---

(١) الوكيلي، محمد: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ص١٩٧.

(٢) العز بن عبد السلام: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ج:١، ص:٦٠

(٣) ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج:٣، ص٧٦. (بتصرف يسير).

والبحث عنه، فهو نعيم الآخرة الباقي في جنة الله التي أعدها لعباده المؤمنين.

الضابط الثالث:

«فإذا تزاحمت مفسدتان أو سيئتان -بتعبير ابن تيمية-، ارتكبت أخفهما بدفع أشدهما»[١]، وقد صاغ ابن نجيم ذلك بقوله: «إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا بارتكاب أخفهما»[٢]، وهذا الفقه بين واضح في أفعال صاحب موسى من خرقه للسفينة، وقتل للغلام، وبناء للسور، «فلأن تبقى السفينة -مثلا- لأصحابها وبها خرق، أهون من أن تضيع كلها، فحفظ البعض أولى من تضييع الكل»[٣].

ويعلق الفخر الرازي على أعمال صاحب موسى مظهرا أهمية هذا الفقه قائلا: «نقول: إن المسائل الثلاث مبنية على حرف واحد وهو: أنه عند تعارض الضررين يجب تحمل الأدنى لدفع الأعلى»[٤]، وهذا ما بينه البيضاوي في قوله معلقا على أفعال صاحب موسى الثلاثة: «ومبنى ذلك أنه إذا تعارض ضرران يجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما»[٥].

ولعل هذا الضابط من فقه الأولويات من الأهمية بمكان، إذ من خلاله يتمكن المربي من الموازنة بين الأضرار، فيكتسب قدرة ذهنية وعقلية متفتحة ومتميزة بعمق النظر، ثم إنها تمكنه من دفع الأخطر عن دعوته وأعماله.

---

(١) الوكيلي، محمد: فقه الأولويات دراسة في الضوابط، ص:٢١١.

(٢) السابق، ص٢١٤.

(٣) القرضاوي، يوسف: أولويات الحركة الإسلامية، ص:٣٤.

(٤) الرازي، الفخر: التفسير الكبير، ج:٢١، ص١٥٩.

(٥) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج:٢، ص١١.

كما أنها تساعد الفرد في حياته اليومية على التفكير الدقيق عند اختيار البدائل.

نظرة التربية الإسلامية إلى الخلطة والعزلة:

إن موضوع الخلطة والعزلة من الموضوعات التي أخذت حيزا لا بأس به في الطروحات الفكرية للتربية الإسلامية قديما وحديثا، ولا يزال الكثير من الناشئة يكثرون من سؤالهم حول هذا الموضوع، بالذات في مرحلة الوعي الدعوي، ولعل السبب في هذا هو ارتباط هذه الأفكار بالحركة، فهل تتعامل الحركة في الإسلام مع الواقع -عند انتشار الفساد فيه- بوجوب الخلطة، أم بوجوب العزلة، أم أن الأصل الخلطة ولا يصار للعزلة إلا عند الضرورة وبضوابط، أسئلة تتناولها جلسات الناشئة، موجهينها إلى من يقومون بتربيتهم في المدارس والمساجد والجامعات..

والسبب في طرح هذا المبدأ، هو أن الآيات في قصة الفتية قد تعرضت لصلب الموضوع مبينة اعتزال الفتية لقومهم، في قول الله سبحانه: ﴿وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ۝١٦﴾[1].

فهل هذه الآية مما يفيد العزلة مطلقا، أم هي مما يدل على جوازها عند الضرورة وفي حالات ضيقة؟

وللإجابة عن ذلك لا بد من الرجوع إلى ما قاله العلماء المربون، الذين كان رأي السواد الأعظم منهم أن هذه الآية لا تفيد ما ذهب إليه بعض المتصوفة من استحباب العزلة مطلقا، وإنما تفيد التأسي بأهل الكهف في

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٦.

حالات ضيقة كما حصل في هجرة المسلمين الأولى للحبشة والثانية للمدينة المنورة، وهذا ما بينه القاسمي في محاسن التأويل إذ يقول: «زعم قوم أن الآية تفيد مشروعية العزلة واستحبابها مطلقا، وهو خطأ، فإنها تشير إلى التأسي بأهل الكهف في الاعتزال، إذا اضطهد المرء في دينه وأريد على الشرك»[١]، وهذا ما ذهب إليه القرطبي -أيضا- في الجامع، إذ بين أن الفرار بالدين عند الاضطهاد هو مما يبيح العزلة للكفرة فقال: «هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء والأوطان والأموال خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة. وقد خرج النبي ﷺ فارا بدينه، وكذلك أصحابه، .. وهجروا أوطانهم وتركوا أرضهم وديارهم»[٢].

وقد افرد أبو حامد الغزالي فصلا خاصا في كتابه إحياء علوم الدين، بحث فيه موضوع العزلة فبين آراء المؤيدين وأدلتهم، ورأي المخالفين وأدلتهم، كما بين -كذلك- فوائدها فذكر منها[٣]:

١- التفرغ للعبادة والفكر، والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة، وملكوت السموات والأرض، فإن ذلك يستدعي فراغا، ولا فراغ مع المخالطة. فالعزلة وسيلة إليه.

٢- التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الإنسان لها غالبا بالمخالطة، ويسلم منها في الخلوة وهي أربعة: الغيبة، والنميمة، والرياء،

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، ج:١١، ص٤٠٣٠.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، ج:١٠، ص٣٦٠.

(٣) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: آداب العزلة، الباب الثاني: في فوائد العزلة، ج٢، ص٣٢٧-٣٣٨. (بتصرف).

والسكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الأخلاق الرديئة والأعمال الخبيثة، التي يوجبها الحرص على الدنيا.

٣- الخلاص من الفتن والخصومات وصيانة الدين والنفس عن الخوض فيها، والتعرض لأخطارها فقلما تخلو البلاد عن تعصبات، وفتن وخصومات، فالمعتزل عنهم في سلامة منها.

٤- الخلاص من شر الناس، فإنهم يؤذونك مرة بالغيبة، ومرة بسوء الظن والتهمة، ومرة بالاقتراحات والأطماع الكاذبة، .. وتارة بالنميمة أو الكذب.

٥- أن ينقطع طمع الناس عنك، وينقطع طمعك عن الناس.

٦- الخلاص من مشاهدة الثقلاء والحمقى، ومقاساة حمقهم وأخلاقهم.

وبعد ذلك عدد آفاتها، بذكر فوائد الخلطة فذكر منها[١]:

١- التعليم والتعلم .. إذ لا يتصور ذلك إلا بالمخالطة..

٢- النفع والانتفاع. أما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة. وذلك لا يتأتى إلا بالمخالطة والمحتاج إليه مضطر إلى ترك العزلة... وأما النفع فهو أن ينفع الناس، إما بماله أو ببدنه.

٣- التأديب والتأدب. ونعني به الارتياض بمقاساة الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم كسرا للنفس، وقهرا للشهوات. وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة، وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه، ولم تذعن

---

(١) الغزالي، أبو حامد: إحياء علوم الدين، كتاب: آداب العزلة، الباب الثاني: في فوائد العزلة وغوائلها، ج٢، ص٣٣٨-٣٤٥. بتصرف.

لحدود الشرع شهواته.

٤- الاستئناس والإيناس. وهو غرض من يحفز الولائم والدعوات، ومواضع المعاشرة والأنس.

٥- في نيل الثواب وإنالته، أما النيل، فبحضور الجنائز وعيادة المرضى وحضور العيدين ... وأما إنالته، فهو أن يفتح الباب لتعوده الناس، أو ليعزوه في المصائب...

٦- التواضع، فإنه من أفضل المقامات، ولا يقدر عليه في الوحدة، وقد يكون الكبر سببا في اختيار العزلة.

٧- التجارب. فإنها تستفاد من المخالطة للخلق ومجاري أحوالهم... ومن أهم التجارب أن يجرب نفسه وأخلاقه وصفات باطنه. وذلك لا يقدر عليه بالخلوة.

أما رأي أبي الحسن الندوي -رحمه الله- فهو: أن العزلة لا تكون إلا في أضيق حال، فعندما تشتد الأمور، «ويضيق الخناق، ويستحيل الجمع بين الحياة والحرية، وبين الإيمان والعقيدة، فلا تبقى للمسلمين صلة إلا الفرار من المجتمع، واللجوء إلى العزلة، وتلك حالة لا تعرض إلا في أحقاب متطاولة، وأزمات نادرة»[1]. وهذا ما آل إليه حال المستضعفين من المجتمع الإسلامي في بداية الدعوة عندما أذن لهم بالهجرة.

فرأي هذا العالم المعاصر بين واضح، في أنه يريد توجيه الناشئة إلى ضرورة الاتصال بالجماهير والصبر على أذاهم، فقد كان رأيه صريحا في أن الاعتزال لا يكون إلا عندما يخشى الإنسان الفتنة الشديدة على دينه. الذي

(١) الندوي، أبو الحسن علي الحسني: الصراع بين الإيمان والمادية، ص٥١.

ذهب إليه الندوي، هو الأقرب للصواب وهو متفق مع الإطار العام للدين الحنيف.

الخلطة هي الأصل:

ولا يخفى أن تغير المجتمع ودعوته إلى الحق وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر -باعتبار أن ذلك يمثل وظيفة أساسية للمسلم من خلال قول الله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[(١)]- لا يكون من سفوح الجبال، أو من أبواب المغارات والكهوف، وإنما من خلال مخالطة الناس، وإدراك احتياجاتهم، من أجل وضع العلاج المناسب لها؛ ولكي يكون هناك قدوات متحركة أمام أعين الناس تشعرهم بأن الحق أحق أن يتبع. ولولا ذلك لانتشر الفساد في البر والبحر انتشارا أشد مما هو عليه الآن. ثم إن دعوة الإسلام دعوة عالمية، فقد قال سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[(٢)]. والاعتزال يتنافى مع هذه الخصيصة، فأنى للإسلام أن يصل إلى أنحاء الأرض إذا كان الدعاة معتكفين معتزلين.

أضف إلى ذلك، الكم الكبير من الآيات، تلك التي قرنت الإيمان بالعمل. وتلك التي بينت أن العذاب لا ينزل على القوم إن كان بينهم مصلحون. وغيرها التي ميزت صاحب الدعوة عن غيره، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم (١١٠)

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٥٨).

(٣) سورة فصلت، الآية: (٣٣).

والمتبع لسيرته ﷺ يجدها ملأى بـالمواقف الداعيـة إلى التفـاعل والحركـة داخل المجتمع، مع الصبر على الاضطهاد والتعذيب وتكرار المحاولـة، وعـدم الفرار بالعزلة إلى المغارات والكـهوف، وهكـذا هـو الإسـلام، لا ينتشـر إلا بالتحرك والسعي الدؤوب والتضحية في سبيل إيصاله إلى الناس.

ونصوص أقواله ﷺ تدل بوضوح على رفض العزلة وترك النـاس، فقـد روي عن النبي ﷺ: «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم يأخذ القاصيـة، والناحيـة والشـاردة وإيـاكم والشعـاب وعليكـم بالعامـة والجماعـة والمساجد»[1].

الفرق بين العزلة الدائمة والعزلة المؤقتة:

ولا بد من التفريق -في هذا المقام- بين العزلة الدائمة، والمؤقتة: فـالأولى مرفوضة -كما بينا-، أما الأخرى -المؤقتة- فقـد تكـون مطلوبـة في مرحلـة من المراحل. كالتي كانت عندما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة المنورة، تاركا كفار مكة، بعدما اشتد الاضطهاد وعلم النبي أن لا فائدة من البقاء معهم، ولا بد من إعادة المحاولة في منطقة أخرى لينطلق منها شعاع الإسلام، فكانت المدينة المنورة هي ذلك المكان، الذي انطلق منه نور الإسلام إلى الأماكن والبلـدان، فالعزلة هنا غير مقصودة لذاتها، وإنمـا كـانت وسـيلة مؤديـة إلى التحـرك في مكان آخر للوصول إلى الهدف.

ولعل اعتزال الفتية في قصة الكهف هي من هذا النوع.

فهم لم يقصدوا العزلـة الدائمـة، وإنمـا أرادوا - والله أعلـم - أن ينـأوا

(١) أحمد: المسند، ج٥، ص٢٣٣، ٢٤٣.

بأنفسهم عن ضغط الكفر وسرابيل المعصية، وأن يخلوا بأنفسهم حتى يتمكنوا من التفكير بأفضل الأساليب لدعوة قومهم وتغيير واقعهم، فخرجوا إلى الكهف وكان ما كان، ويستدل على ذلك:

١- أن الفتية لم يأخذوا معهم زاداً لفترة طويلة، فلو أنهم أرادوا العزلة الدائمة لاحتاطوا لذلك، ولأخذوا معهم طعاماً يكفيهم مدة طويلة. لكن الآيات أخبرتنا أنهم ما أن وصلوا وناموا، ثم استيقظوا جائعين وهم يظنون أنهم ناموا يوماً أو بعض يوم حتى بدأوا يبحثون عن الطعام، وهذا دليل على أنهم لم يحملوا طعاماً بنية العزلة الدائمة.

٢- رجوع أحدهم إلى القرية لشراء الطعام، دليل على أنهم لم يقصدوا العزلة الدائمة، فمن أراد أن يعتزل منطقة ولا يعود إليها، فإنه لا يعود إليها لشراء الطعام أو غيره.

العزلة الشعورية:

ولا بد من التنبه -أثناء التحرك بين الناس لدعوتهم- إلى ما يسمى بالعزلة الشعورية. إذ يعد هذا النوع من أهم المبادئ التربوية التي ينبغي على المربين أن يدربوا ويهيؤوا الناشئة عليه، فمن خلالها يكون مؤثراً لا متأثراً، مغيراً لا متغيراً، ثابتاً في وجه الباطل، واثقاً بالحق الذي قد ملأ جنبات نفسه.

فهو يعيش ويتحرك داخل المجتمع، لكن مشاعره وتصوراته وقيمه وأفكاره، وكل زاوية في جنبات حياته مستمدة من دين الله لا من أعراف ذلك المجتمع.

فهو ينطلق في المجتمع ليرتفع به إلى الإسلام، دون أن يكون لسلبية عادات المجتمع وتقاليده تأثير على نظرته وطبيعة حياته، فلا يتنازل عن ثوابته، بل يبقى مرتفعاً بها عن جميع القيم والموازين الأرضية.

وتعمل العزلة الشعورية على ضمان استمرار سلوك الأفراد على ما يُرضي الله سبحانه، دون تقصير في دعوة الناس إلى دين الله سبحانه، الأمر الذي يؤدي إلى اقتداء الناس بهم وتحول سلوكهم من السلبية إلى الإيجابية، فيعم الخير ويزدهر المجتمع.



المستلزمات التربوية للعمل والتطبيق

إن للعمل الدعوي في الإسلام أهمية بالغة، إذ من خلاله تتحقق عالمية الدين، فينتشر في أصقاع الأرض مالئا نوره قلوب الناس. ويحتاج كل من يقوم بهذا العمل إلى إعداد تربوي متميز يمكنه من المضي قدما في طريق الدعوة، ذلك الطريق الذي حف بالمشقات والمصاعب والمكر والحرب والاضطهاد من أعداء هذا الدين، فإن لم يكن إعداده التربوي مكينا، فلن يثبت ولن يستمر الداعية في دعوته، بل سيتراجع وربما كان من المتساقطين على طريق الدعوة.

ومما يجب على المربين بثه في قلوب الناشئة أثناء إعدادهم للعمل الدعوي، عدة مستلزمات أو متطلبات لهذا العمل، لتكون هذه المتطلبات كالجبال الراسخة في المفاهيم الدعوية لديهم فيتمكنوا من الوصول إلى قلب كل إنسان في هذه الأرض، فيفتحوه بالإيمان والتسليم لله.

وقد عرضت آيات قصص سورة الكهف بعض المستلزمات التي يجب على الداعية أن يأخذ بها قبل الشروع بالعمل كالإيمان بالله والاستعانة به، والأخذ بالأسباب، وعمق النظر وحسن التخطيط، والتفاؤل، وأخرى يلزمه الأخذ بها بعد الشروع بالعمل، كالفتوة، والتلطف، والتضحية، والثبات، والصبر.

مستلزمات تربوية تسبق العمل

إن هذا النوع من المستلزمات بمثابة القاعدة التي ينطلق منها المسلم في دعوته متحركا نحو هدفه، ولا بد من استمرار وجودها أثناء العمل ليستمر

النجاح والتقدم.

ومن هذه المستلزمات كما تظهرها الآيات ما يلي:

أولا: رسوخ الإيمان بالله:

وهذه من أولى المستلزمات التي يطلب من المربين زرعها وتمكينها في قلوب الأتباع؛ الإيمان بربوبية الله وألوهيته وأسمائه وصفاته، الإيمان بصلاحية الإسلام، وقدرته على إصلاح كل زمان ومكان، لأنه دين رباني، ونظام لم تتدخل غير إرادة الله في صياغته، الإيمان المطلق بأن هذا الكون يسير على سنن الله، والعمل بمقتضى هذه السنن، والسير على محاورها، كقول الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[1]، الإيمان الذي يزكو بأعلى مراتب الإخلاص والتوكل وحب الله ورسوله، وتقديم طاعتهما على سواهما.

عندئذ ينطلق المرء مندفعا بذاته متحركا نحو دين الله سبحانه، «فإن القلب متى تذوق حلاوة هذا الإيمان واطمأن إليه وثبت عليه، لابد وأن يندفع لتحقيق حقيقته في خارج القلب، في واقع الحياة، في دنيا الناس، يريد أن يوحد بين ما يستشعره في باطنه من حقيقة الإيمان وما يحيط به في ظاهره من مجريات الأمور وواقع الحياة. ولا يطيق الصبر على المفارقة بين الصورة الإيمانية التي في حسه والصورة الواقعية من حوله، لأن هذه المفارقة تؤذيه وتصدمه في كل لحظة[2] فالإيمان بمثابة القاعدة التي ينطلق منها -لا من

---

(١) سورة محمد، الآية: (٧).

(٢) القطان، أحمد بن عبد العزيز: ذاتية المؤمن طريق النماء، ص١٢-١٣.

سواها- التحرك الصحيح نحو دين الله وفي دين الله، وهي -كذلك- بمثابة محطات يتزود منها المسلم لكي يستمر متحركا على الطريق.

وهذا ما كان من النبي ﷺ، فقد مكث في مكة المكرمة ثلاث عشرة سنة يربي ويؤسس في قلوب أصحابه الإيمان والعقيدة الصحيحة، لكي ينطلق بهم بعد هذا الإعداد الإيماني إلى يثرب، متحديا بحركتهم نحو الدعوة كل أصنام الباطل والكفر.

وهذا ما يتوجب على المربين أن يعوه، إذ لا بد من تمكين الإيمان بأعلى درجات التمكين في القلوب، لأن زرع المعاني الدعوية التنظيرية في عقول الناشئة دون أن يكون هذا الزرع في أرض الإيمان إنما هو ضرب من السراب والوهم، ولن يكون لهذا الزرع أي ثمر أو نتاج.

وقد ظهر هذا المطلب بجلاء في قصة الفتية الذين ميزهم الله سبحانه بصفة الإيمان في قوله: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾[1]، «فقد حققوا فيهم صفة الإيمان والفتوة، وهما الصفتان الأساسيتان في دستور النصرة الإلهية، والتأييد الرباني»[2] للدعاة إلى دين الله. ثم تبع هذا الإيمان الربط والتثبيت والإرادة والتصميم، فالعمل والتحرك والقيام لنصرة دين الله. قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾[3] إذ يفهم من القيام أنه «حركة وسعي وجهد، بمعنى أنهم لم يبقوا الإيمان في دائرة المعرفة النظرية الذهنية العقلية، ولم يجعلوه مجرد ثقافة وإطلاع، وإنما

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٣).

(٢) الندوي، أبو الحسن علي الحسني: الصراع بين الإيمان والمادية، ص٥٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: (١٤).

قاموا بخطوة أخرى، تعد الثمرة الطبيعية والنتيجة المنطقية للمعرفة الذهنية والثقافة العقلية، وذلك عندما قاموا وتحركوا وسعوا، لقد كان قيامهم وسعيهم عاملا في تقوية إيمانهم، وكانت حركتهم وخطوتهم العملية ضرورية لإيمانهم»[(١)].

«ثم يستمر استشعار الإيمان بعد التحرك، فها هو ذا الإيمان يسعفهم، وينير لهم الطريق، ويقنعهم بأن في أرض الله سعة، وفي نصر الله ثقة، وأنهم ليسوا مضطرين -بعدما تخلوا عن اللذات والمطامع- إلى البقاء في هذه القرية الظالم أهلها»[(٢)]، فخاطبوا بعضهم بقولهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[(٣)].

فبالإيمان تزكو النفس، وبالإيمان يندفع المسلم نحو التحرك والسعي لإيصال لذة الإيمان إلى الناس، بقوة وصبر وثبات.

وبذلك يكون القرآن الكريم قد أرسى القواعد والأسس اللازمة لإكساب الفرد الاتجاهات والقيم التي تدفعه إلى القيام والتحرك لتحقيق الأهداف السامية. فبالإيمان والمعرفة، وتهيئة البيئة المناسبة (الإيمانية)، والسلوك القدوة يمكن التأثير في الآخرين وغرس القيم وتنمية الاتجاه، وهذا ما فعله رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم والمسلمون من بعده.

ثانيا: الأخذ بالأسباب:

كذلك من المستلزمات الضرورية قبل تنفيذ العمل؛ أن يدرس الفرد جميع

---

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص:٥٤.
(٢) الندوي، أبو الحسن علي الحسني: الصراع بين الإيمان والمادية، ص٥٧.
(٣) سورة الكهف، الآية: (١٦).

الأسباب العملية التي تقربه من الوصول لما يهدف إليه عند الأخذ بها، ويعد الأخذ بالأسباب مطلباً إيمانياً، ذلك أن التوكل من مقتضيات الإيمان، والأخذ بالأسباب من مقتضيات التوكل.

وأمثلة الأخذ بالأسباب في قصص سورة الكهف كثيرة منها:

أ- في قصة الفتية:

١- حمل الوَرِق عند فرارهم، من أجل الوصول إلى الكمال في العمل.

٢- قولهم لمن أراد الخروج لإحضار الطعام ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[1] دليل آخر على الأخذ بالأسباب، وهذه المرة بتوصية صاحبهم بوجوب الأخذ بجميع الأسباب التي تبعد عنهم العيون، فيجب أن يذهب ويرجع دون أن يراه أحد.

٣- تحريك الله لهم عندما ناموا في الكهف حتى لا تأكل الأرض أجسادهم، قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾[2]، مع أن الله قادر على أن يأمر الأرض بأن لا تأكل أجسادهم، لكنه سبحانه أراد أن يعلمنا وجوب الأخذ بالأسباب، التي من شأنها أن تقربنا من تحقيق أهدافنا.

ب- في قصة ذي القرنين دلائل واضحة -كذلك- على أن العمل لا بد فيه

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٩).

(٢) سورة الكهف، الآية: (١٨).

من الأخذ بالأسباب، ومن ذلك قول الله في أكثر من آية واصفا حال ذلك القائد الناجح: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩﴾ ففي ذلك «إشارة إلى القيام بالأسباب، والجري وراء سنة الله في الكون من الجد والعمل»[١].

فلا بد من أجل اكتمال صحة العمل، أن يتربى الأفراد على القدرة في معرفة الأسباب والطرق الموصلة إليه، لكي يصلوا إلى الهدف بأقصر طريق وأنجحها وأفضلها، وإلا كان ضربا من العبث.

ثالثا: التفاؤل:

يعد التفاؤل من مظاهر ثقة المسلم بالله، ويجب أن يسبق العمل تفاؤل، ثم يستمر هذا التفاؤل بعد البدء بالعمل ويبقى ملازما له حتى يأتي نصر الله.

ويتعزز هذا المعنى في كل من قصة الفتية وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين، فهؤلاء الفتية قد انتصروا على قومهم، وتلك الجنات التي كفر صاحبها قد زالت، لتثبت حقيقة المؤمن، من أن الدنيا مصيرها إلى الزوال، وذو القرنين يحقق الله على يديه نصر الحق ودفع الظلم في مشارق الأرض ومغاربها.

فعندما نستشعر حقيقة نصر الله لعباده، فإننا نتفاءل بأن نصر الله وتأييده آت ولو بعد حين.

«وعلى هذا نستطيع أن نقرر أن نظرة الإسلام إلى الحياة نظرة متفائلة، تغلب جانب الخير دائما، وتجعل له العاقبة في كل حال»[٢].

مستلزمات تربوية أثناء العمل:

فبعد أن يقوم العمل على مستلزمات وإعدادات تسبق الخوض فيه، يبدأ

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين: محاسن التأويل، ج:١١، ص٤١٠٤.

(٢) الخطيب، عبد الكريم: القصص القرآني في منطوقة ومفهومه، ص٢٠٣.

المربي بيان المستلزمات التي يتطلبها العمل التطبيقي بعد البدء به، حتى تكتمل العملية التربوية، فيصل المنطلق بدين الله لما يصبو إليه من أهداف ربانية.

ومن هذه المستلزمات التي ينبغي على المربين تدريب الناشئة عليها للأخذ بها أثناء العمل:

أولا: الثبات والصبر:

الصبر والثبات من المستلزمات الرئيسة أثناء العمل، وقد وجه الندوي -رحمه الله- الناشئة المسلمة إلى وجوب الثبات والصبر.

وقد تحدثت آيات قصص الكهف حول هذا المستلزم بوضوح في أكثر من مناسبة فيها.

فتارة تعرضه بيان وجوده في قلوب الفتية، كمظهر من مظاهر إنعام الله سبحانه عليهم لإيمانهم، فقال سبحانه ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ «أي ألهمناها الصبر وثبتناها»[١]، «فالقلوب التي تختار الإيمان تحتاج إلى أن تربط عليه حتى لا يتسرب أو يضيع»[٢] -كما قال سبحانه واصفا رسول الله وصحابته في معركة بدر: ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝﴾[٣]- وقد تحقق ذلك الصبر والثبات فيهم، وذلك عندما خرجوا فارين بدينهم ثابتين عليه، صابرين على مشاق الاعتزال وترك النعم.

وتارة أخرى تعاود الآيات ضرب مثال آخر على الثبات والصبر أثناء

---

(١) الرازي، الفخر: التفسير الكبير، ج:٢١، ص٩٧.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص٥٢.

(٣) سورة الأنفال، الآية (١١).

الدعوة إلى الحق والخير، فها هو العبد المؤمن يتحدى الكافر بثبات وصبر، ويعلن موقفه بكل جرأة ودون مهادنة لغنى الغني، أو إذعان لقوة الظالم فيقول: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾[1].

وفي قصة موسى مع العبد الصالح إشارة أخرى إلى الصبر والثبات[2]، فقد أعلن موسى عن ثباته بقوله في بداية الرحلة: ﴿لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾﴾[3]، وقد أعلن -كذلك- عن صبره في قوله للعبد الصالح: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾[4].

ثانيا: التلطف:

وهذا المستلزم بين واضح في قول الله سبحانه في قصة الفتية عندما هم صاحبهم بالخروج لشراء الطعام فتوجهوا له بالنصح قائلين: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾[5]، وقد حمله عدد من المفسرين على معنى التخفي بقدر الإمكان، كقول ابن كثير معلقا على كلمة «وليتلطف» أي: في خروجه وذهابه، وشرائه وإيابه، يقولون: «وليتخف كل ما يقدر عليه»[6]، وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازي فسر قول الله (وليتلطف): «أي يكون ذلك في سر وكتمان»[7]. وهذا من المعاني الأساسية للعمل؛ أن يكون في سر وكتمان،

---

(١) سورة الكهف، الآية (٣٨).

(٢) ارجع إلى فصل: الآداب الإسلامية، مبحث: آداب العالم والمتعلم، مطلب: صفات طالب العلم. ص٩٤.

(٣) سورة الكهف، الآية: (٦٠).

(٤) سورة الكهف، الآية: (٦٩).

(٥) سورة الكهف، الآية: (١٩).

(٦) ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص:٧٧.

(٧) الرازي، الفخر: التفسير الكبير، ج:٢١، ص:١٠٣.

ويقصد بذلك وجوب أخــذ الحيطـة والحـذر لأن ذلـك سـبيل إلى السـلامة والاطمئنان.

ولعل تتمة الآية توجهنا إلى هذا المعنى بوضــوح، وهـو قولهـم لـه: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[1]. ولفظ «بكم» يدل على أن الخطر الناجم عن عدم أخذ الفرد بالحيطة والحذر والتلطف لا يضره هو فحسب بل يجـر الويـلات على غيره.

كما ويشتمـل معنـى التلطـف علـى الرفـق، لأن مـن معـاني «التلطـف: الترفق»[2] فالرفق في التعامل مع المدعوين أيا كـانوا، والرفـق في الـرد علـى المعترضين أينما وجدوا، من مستلزمات العمل، وسبب في نجاحه. فها هو ذو القرنين القائد الفاتح قد تلطف مع أهل البـلاد المفتوحـة بـأن أقـام العـدل، وأعطى كل إنسان حقه. ثم تلطف مع أهل السدين بـأن استجاب لطلبـهم وبنى لهم ردما يمنع عنهم يأجوج ومأجوج[3].

وقد وجهنا النبي ﷺ إلى الترفق بقوله: «إن الرفـق لا يكـون في شـيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه»[4].

وقد وجه الله سبحانه نبيه ﷺ والدعاة من بعده إلى الرفق والتلطـف مـن خلال نهيـه عـن الفظاظـة، فقـال سـبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ

---

(١) سورة الكهف، الآية: (١٩).

(٢) هارون، عبد السلام وآخرون: المعجم الوسيط، ج:٢، ص٨٣٣.

(٣) سيأتي مزيد بيان في المبحث الثالث من هذا الفصل حول صفات القائد النـاجح. صفحـة: ١٤٧.

(٤) مسلم: صحيح مسلم، كتاب: البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم: ٧٨، ج١٦، ص١٤٦. وأحمد: المسند، ج١، ص٥٨، ١٢٤.

كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾[1].

فالتلطف من المستلزمات التربوية للعمل، وهي مما يجب أن يتعلمه الناشئة من خلال الاقتداء بالمربين في تطبيقهم لهذا المطلب.

ثالثا: التضحية:

التي تعد من أهم مظاهر الإيمان بالدعوة المنبثق عن حب الله ورسوله، فيقدم المسلم، الغالي والنفيس، ويتنازل عن متع وشهوات ليحقق النصرة لدين الله، فهاهم فتية الكهف يتركون رغد العيش متوجهين إلى كهف في أحد الجبال، تضحية بمتاع الدنيا، طلبا لرضى الله سبحانه، آملين منه أن يثيبهم السعادة الحقيقية في هذا الكهف الذي قدموه على متاع الدنيا فقالوا: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾[2] «فكلمة «ينشر» تلقي ظلال السعة والبحبوحة والانفساح. فإذا بالكهف فضاء فسيح رحيب وسيع تنتشر فيه الرحمة وتتسع خيوطها وتمتد ظلالها، وتشملهم بالرفق واللين والرخاء .. إن الحدود الضيقة لتنزاح، وإن الجدران الصلدة لترق، وإن الوحشة الموغلة لتشف، فإذا بالرحمة والرفق والراحة والارتفاق. وإنه الإيمان»[3] الذي ولد التضحية فكانت السعادة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٥٩).

(٢) سورة الكهف، الآية (١٦).

(٣) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:٤، ص٢٢٦٢.

والتضحية طريق الدعوة، فلا وجود ولا استمرار للفكرة إلا بأشخاص يؤمنون بها، ثم يضحون في سبيلها، وهذا ما كان من رسول الله ﷺ وصحابته في العهد الأول للإسلام، فقد ضربوا لنا أروع الأمثلة على التضحية، فمن هجرة إلى الحبشة ثم للمدينة -تاركين وراءهم أموالهم وبيوتهم وأزواجهم-، إلى تقديم الروح والمال في القتال والدفاع عن دين الله ونشر رسالة الإسلام، إلى ترك كل العادات الجاهلية من عصبية قبلية وشرب للخمر .

رابعا: الفتوة

التي تعد من أشد مراحل عمر الإنسان قوة وتصميما وثباتا وجرأة وتضحية، فهي «مرحلة الحماس والاندفاع والحيوية، مرحلة العطاء والهمة والالتزام»(١) .

فالعمل يلزمه أن تجند الأيدي الفتية الشابة لأجله، وتربى التربية اللازمة لتنطلق بقوة وتصميم نحو نشر الدين.

وقد كانت هذه الصفة واضحة المعالم في الآيات التي تحدثت عن فتية الكهف، فقال سبحانه مبينا ذلك: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾(٢)، وقال سبحانه في موضع آخر: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣﴾(٣)، «فذكر الله أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ، الذين قد عتوا في دين الباطل، ولهذا كان اكثر المستجيبين لله

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص٤٩.

(٢) سورة الكهف، الآية: (١٠).

(٣) سورة الكهف، الآية: (١٣).

ولرسوله شبابا، وأما المشايخ، من قريش فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل»[١].

وهناك إشارة إلى أهمية الفتوة في قصة موسى والعبد الصالح، فها هو الخضر يظهر فتوته في بناء الجدار، وفي قول الله على لسان الخضر عن الغلامين اليتيمين ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا﴾[٢] دليل على أن العمل وبذل الطاقة يكون عند بلوغ الشدة والقوة وهي مرحلة الشباب والفتوة.

«والشباب في نظر الإسلام هم عماد الدعوة إلى الله في الظروف العصيبة، لأن عملية الدعوة والإصلاح، تحتاج إلى طاقة الشباب، وصبرهم على الأذى، فالفتية المؤمنون بربهم والذين زادهم الله هدى أقدر على مقارعة الظلم والطغيان»[٣].

فوجب على المربين أن يعيروا أكبر الاهتمام إلى هذه الفئة، فيدركوا احتياجاتهم، وأفضل طرق النهوض بهممهم، وتوجيهها إلى عوالي الأمور.

---

(١) ابن كثير، إسماعيل: تفسير القرآن العظيم، ج:٣، ص٧٣-٧٤.

(٢) سورة الكهف، الآية (٨٢).

(٣) فرحان، اسحق أحمد: مشكلات الشباب في ضوء الإسلام، ص:١٤.

التربية القيادية من خلال قصة ذي القرنين

تعرف القيادة بأنها: «عملية تحريك مجموعة من الناس باتجاه محدد ومخطط، وذلك بتحفيزهم على العمل باختيارهم»[(١)]، وعرفها بعضهم بأنها: «فن معاملة الطبيعة البشرية والتأثير في السلوك البشري وتوجيهه نحو هدف معين وبطريقة تضمن بها طاعته وثقته واحترامه»[(٢)].

مما سبق يمكن القول: إن المحاور الأساسية في العملية القيادية هي:

أ- القائد، وهو الموجه لمجموعة من الأشخاص نحو هدف معين. لتميزه بمجموعة من الصفات تؤهله للقيادة.

ب- الأفراد وهم الأشخاص الذين يوجههم القائد.

جـ- هدف يبتغى الوصول إليه.

د- أساليب تضمن الوصول لهذا الهدف، من تحفيز، وتأثير في السلوك، وطاعة، وثقة، ...

والناظر في آيات قصة ذي القرنين، يرى أنها كشفت عن تلك المحاور الأساسية في تعريف القيادة فأظهرت ذلك القائد بصورته الجلية وصفاته[(٣)] التي تحلى بها أثناء قيادته لمجموعته نحو الهدف، قال سبحانه وتعالى واصفا ذي القرنين: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[(٤)]، «فلقد مكن له في

---

(١) الطالب، هشام: دليل التدريب القيادي، ص:٥٢.

(٢) يكن، فتحي: مشكلات الدعوة والداعية، ص:٧٥.

(٣) سيأتي مزيد بيان في المطلب الأول في هذا المبحث.

(٤) سورة الكهف، الآيات: ٨٣-٨٤

الأرض، فأعطاه سلطانا وطيد الدعائم، ويسر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع .. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة»[1] فكان قائدا عظيما سطر له القرآن بين طياته آيات تتلى إلى يوم الدين.

ثم تحدثت الآيات عن المحور الثاني من محاور القيادة، ذلك هو: الأفراد، وهم تلك الفئات من البشر الذين وجههم ذو القرنين نحو الخير في شرق الأرض وغربها، فأحق الحق بينهم وأبطل الباطل، قال تعالى عن أولئك الأقوام، وكيف وصل بهم ذو القرنين إلى الهدف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾[2]، وبعدها استمرت الآيات في الحديث عن هذا المحور، مبينة حال أولئك القوم الذين وجههم ذو القرنين نحو هدف منع يأجوج ومأجوج من الإغارة عليهم، فقال سبحانه: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج٤، ص٢٢٩٠

(٢) سورة الكهف، الآيات: ٨٦-٩١.

بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾[1].

وقد تناولت الآيات على بيان المحور الثالث للعملية القيادية، وهو أن يكون للقائد وللأفراد هدف يسعون إلى تحقيقه، وقد كان في الرحلات الثلاث[2] إحقاق الحق وإبطال الباطل، ففي الأولى والثانية أقام العدل وحكم بشرع الله وهو قمة الحق، وفي الثالثة منع الاعتداء الظالم على القوم من قبل يأجوج ومأجوج.

وكذلك فإن الآيات لم تغفل المحور الرابع، وهو الأساليب القيادية المستخدمة من أجل الوصول إلى الهدف، فنراها تارة تعرض أسلوب الحزم والقوة وتارة أسلوب القدوة، وأخرى أسلوب المبادرة، والحكمة، والتحفيز .. وغيرها من الأساليب التي أتقن ذو القرنين استخدامها في رحلاته الثلاث ليصل بمن يقودهم نحو تحقيق الأهداف المرجوة.

وسنتعرض -بإذن الله- إلى صفات القائد التي تعد من زاوية أخرى وسائل قيادية يستطيع أن يتعامل معها لتحقيق الأهداف، كما سنأتي على المهام القيادية التي تعد أهدافا- يجب على القائد أن يقوم بها خير قيام.

ولا يخفى مدى الحاجة الماسة لأمتنا اليوم في أن تربي أبناءها تربية قيادية تحت ظل هدي القرآن، لكي تخرج وتخرج الناس من الظلمات إلى النور، فالقيادة عملية تربوية، لأن كشف وتنمية المواهب القيادية بالشكل الصحيح يحتاج لمربين يكتشفون ويوجهون من فيهم هذه الصفات الوجهة الصحيحة.

---

(١) كانت الأولى إلى المغرب والثانية إلى المشرق والثالثة إلى ما بين السدين.

(٢) سورة الكهف، الآية: (١٥).

والحقيقة أن الأخطاء التربوية في موضوع القيادة كثيرة، ولابد أن نقف منها موقف الحذر لنتجنبها، وخير سبيل لاكتشافها وعلاجها الرجوع إلى كتاب ربنا؛ مدد التربية الإسلامية في كل محاورها، وما هذا المبحث إلا محاولة في هذا السبيل، محاولة للكشف عن صفات القائد ومهامه، علها تكون أسطرا فيها الخير والفائدة بإذن الله-.

صفات القائد الناجح

عرضت الآيات عدة صفات للقائد الناجح، كان منها صفات مكتسبة وأخرى غير مكتسبة، وأظهرت بعض هذه الصفات -وبخاصة المكتسبة منها- على أنها أساليب يجب على القائد أن يتعامل بها كي يحقق النجاح في العملية القيادية.

ولا شك أن القائد المسلم مطالب بهذه الصفات، كما ويجب على المربين الإسلاميين أن يعوا هذه الصفات المستخرجة من القرآن الكريم ويعملوا على إيجاد المكتسب منها في شخصية الأفراد، وينموا الصفات القيادية الأصيلة فيهم ليصلوا إلى عملية تربوية ناجحة في الزاوية القيادية.

أما الصفات القيادية التي أظهرتها الآيات القرآنية في قصة ذي القرنين للقائد المسلم فهي:

أولا : الإيمان بالله:

التي تعد أولى وأهم الصفات في القائد المسلم، كيف لا وهو يسعى إلى تحقيق أمر الله في ممارساته الإدارية مع رعيته، وأهدافه القيادية في فترة رئاسته، والتي تتمثل في نشر الإسلام، وبث روح الإيمان، ومحاربة الظلم والطغيان، ولا يكون هذا ممن لم يعمر قلبه الإيمان.

وقد عرضت هذه الصفة في كل محاور حياة ذي القرنين المعروضة في الآيات، التي تكشف عن المعية الإلهية له في مناسبات مختلفة تبدأ من قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾[(١)] فالله سبحانه قد مكن له في الأرض وآتاه من الأسباب ما جعله مؤهلا للقيادة الربانية وأول هذه الأسباب -بلا شك- الإيمان، فهذه العناية ما كان ليحصل عليها لولا تميزه الإيماني.

ثم تبعتها آية أخرى تظهر المعية الإلهية -والتي كان إيمانه سببا في تحصيلها- وهي قوله سبحانه ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾[(٢)]، فبعد أن وصل إلى مغرب الأرض استمرت المعية والعناية الإلهية له، وقد تمثلت في هذه الآيات بالتوجيه الرباني له فيما سيفعل بأولئك القوم القاطنين في مغرب الأرض، فكان أن أقام الحق وأبطل الباطل.

وتعاود الآيات التذكير بالمعية الربانية له -لإيمانه- في الرحلة الثانية لمشرق الأرض وذلك في قوله سبحانه ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾[(٣)] فالرقابة الإلهية مستمرة، وهنا قد تمثلت في إحاطة علم الله بمنهج ذي القرنين في التعامل مع البلاد المفتوحة من إحقاق للحق والعدل. ودفع للظلم والعدوان.

وتبين الآيات دليلا آخر على إيمانه، تمثل في الكشف عن نوع الفكر الذي

---

(١) سورة الكهف، آية: ٨٤.

(٢) سورة الكهف، آية: ٨٦.

(٣) سورة الكهف، آية: ٩١.

يحمله ذو القرنين؛ فكر إيماني يحارب الظلم والشر ويرسخ معالم التوحيد والإيمان، ويرتقي بروحانية الأتباع إلى أسمى المراتب، فها هو يرسخ الإيمان ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾(١) بمكافأته للمؤمن أولا، وثانيا ببيان أمر عقدي غيبي وهو: أن الجنة جزاء المؤمن، ساعيا بذلك للسمو بإيمان الأتباع، ومحرضا لهم على ربط أهدافهم برضى الله لنيل جنته.

وتختم الآيات ببيان المنزلة الإيمانية الرفيعة التي وصل إليها ذو القرنين، والمتمثلة بالخضوع والخوف من قدرة وقوة الله ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ﴾ فما فعله إنما هو بتيسير الله وقدرته. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾. في وقوعه من هدم هذا البنيان القوي المتين، لأنه يؤمن أن الله إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون.

هذه ابرز صفة يجب على القائد المسلم أن يتحلى بها، ليشعر أنه صادق في قيادته من خلال سعيه لتحقيق مبدأ الإيمان، وهذه الصفة سبب رئيس في تحقيق التقدم والوصول للهدف، لأنها سبب في المعية الربانية والعناية الإلهية للقائد ورعيته.

ثانيا: العلم:

إذ لا يتصور أن يصل القائد بأتباعه إلى الهدف المنشود دون أن يلم بقضايا علمية مختلفة ودون أن يكون حكيما في قراراته وأساليبه.

وقد تميز ذو القرنين في هذا الجانب، فكان عالما في تخصصات مختلفة،

---

(١) سورة الكهف، آية: ٨٨.

ويظهر ذلك من خلال:

١- قول الله سبحانه ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾[١]، فمن أهم أسس التمكين العلم، فلولا العلم لما كان له هذا التمكين، وكذلك الآية صريحة بأن الله قد آتاه من كل الأسباب المهيئة له لأن يكون قائدا متميزا، «فأعطاه أسباب البناء والعمران، وأسباب السلطان والمتاع.. وسائر ما هو من شأن البشر أن يمكنوا فيه في هذه الحياة»[٢] وعلى رأس ذلك العلم.

٢- قول الله سبحانه ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾، وقوله سبحانه ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾، وفي هذا بيان على قدرة ذي القرنين على اتباع الأسباب الموصلة إلى شرق الأرض ومغربها، وما هذا إلا لقدرته العلمية على ذلك، من معرفة الأسباب -العلوم- واتباعها ليصل إلى ما يصبو إليه.

فمعنى قول الله سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ «أي طريقا يوصله إليه وهو كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة»[٣].

والآيات الكريمة تحدثت عن أنواع متعددة من العلوم التي كان يتقنها ذو القرنين -موجهة القادة المسلمين والمربيين إلى الاهتمام بهذه العلوم الضرورية لكل قائد- ومنها:

١- علوم في إدارة الناس من:

أ- القدرة على معرفة أحوال الناس، والتفريق بين الصالح والطالح

---

(١) سورة الكهف، آية: ٨٤.

(٢) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ج:٤، ص:٢٢٩٠.

(٣) الألوسي، محمود البغدادي: روح المعاني، ج١٦، ص:٣١.

منهم، وهذا ما كشفت عنه الآيات في رحلته إلى مغرب الأرض التي عاقب فيها المسيء وكافأ فيها المحسن، ويلزم قبل ذلك أن يكون عالما بطرق الكشف عن المؤمن وعن الظالم، ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[1].

ب- استخدام الأساليب المتنوعة في إصلاح الرعية وإدارة شؤونهم، كأسلوب الترغيب والتعزيز والمكافأة التي منحها للمؤمنين ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]، أو أسلوب الترهيب والعقاب والتهديد الذي أوقعه على الكفار والظلمة، ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾[3].

جـ- التميز في مهارات الاتصال بالجماهير، والحكمة في اختيار وانتقاء الكلمات المؤثرة، ومن ذلك:

- استخدام أسلوب الترغيب والترهيب -كما بينا سابقا- وهو أسلوب لكل قائد أن يتميز في إتقانه، وإلا فلن يصل إلى المستوى المطلوب من تدعيم أركان قيادته، ومن أهم محاور إتقانه لهذا الأسلوب، استخدامه في الوقت المناسب، ومع الشخص المناسب، فهناك أوقات يصلح في استثمارها الترغيب وأخرى الترهيب.

- القدرة على فهم مراد الرعية، كما كان من أولئك القاطنين بين

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ٨٧، ٨٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٨.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٧.

السدين، والذين وصفوا بأنهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[1]. حيث استطاع ذو القرنين أن يتصل بهم ويفهم مرادهم ويحقق مبتغاهم، فمنع يأجوج ومأجوج من الاعتداء عليهم، من خلال الخطاب الموجه لهم والذي استنفر طاقاتهم لبناء الردم على أعدائهم ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[2].

• القدرة على توجيه الخطاب التربوي للجماهير، وذلك في قول الله سبحانه على لسان ذي القرنين: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[3]، فبعد أن انتهى من بناء الردم توجه إلى قومه مذكرا إياهم بأن ما كان من بناء الردم إنما هو من مظاهر رحمة الله سبحانه بعباده، وهذا معنى تربوي غاية في الأهمية، وقد استطاع أن يوصل هذه الفكرة بأسلوب لطيف يرتبط بمظهر عملي متحقق أمام المستمعين. مستخدما بذلك مهارة من مهارات الاتصال، وهي: ربط النظرية بمشاهدة عينية ليكون فهم الخطاب والتأثر بالمعنى أبلغ.

وهذا هو ما كان من ذي القرنين؛ في خطابه، فكان متميزا في اختيار الكلمات والأساليب ليربطها بالواقع المعاش، حتى يصل إلى مرحلة الإقناع الكامل، وهذا ما يجب أن يربى عليه القادة من إتقان فن الاتصال بالجماهير، لأنه من أهم سبل التغيير التربوي المنشود.

١- **العلوم العسكرية**: من تسيير الجيوش، وضبطها، والعلوم التابعة لذلك

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٥.

(٣) سورة الكهف، الآية، ٩٨.

كالجغرافيا مثلا، والتخطيط العسكري الفعال، والقدرة على استثمار النصر لما فيه من الخير، والقدرة على التوظيف الاجتماعي للقوة العسكرية، ويظهر كل ذلك من خلال، انتصاراته في الشرق والغرب، ومن خلال إشاعة العدل بعد تحقيق النصر، وكذلك من خلال تقديم العون لمن بين السدين من بناء الردم بينهم وبين يأجوج ومأجوج.

٢- **علوم تطبيقية**، كعلم الكيمياء والهندسة، ويظهر ذلك من خلال بناء السد من اختيار المواد، ومواصفاتها، وطريقة البناء، واختيار الموقع، وكذلك من خلال معرفته بعلوم الأرض وكيفية استخراج المواد، كالحديد، منها، والاستفادة من الطاقات البشرية التي معه في هذه العلوم.

فالعلم من الصفات الأساسية للقائد الفعال، ومن خلاله يشعر القائد بالثقة بالنفس، مما يزيد من فاعليته، وأهليته في القيادة، والقدرة على اتخاذ القرار الحكيم في الوقت المناسب.

ثالثا: القدوة:

فيجب أن يراقب نفسه، ويعمل على بث ما يحمل من فكر ومنهج من خلال تصرفاته التي يمحصها الأتباع للاقتداء به، «فالأفراد ينظرون دائما ويتطلعون إلى قادتهم كأمثلة حسنة يقتدون بها ويحذون حذوها، فسلوك القائد ونشاطه وحيويته وأخلاقه وأقواله وأعماله ذات أثر فعلي على عموم الناس»[1].

وهذا ما كان عليه قائدنا الأول، نبينا محمد ﷺ، فقد سئلت السيدة عائشة

---

(١) يكن، فتحي: مشكلات الدعوة و الداعية، ص٧٩.

رضي الله عنها، عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خلقه القران»[١]، كان قائدا قدوة مطبقا للمنهج الذي جاء به في عبادته، وجهاده، وتضحيته، وتربيته، وحسن سياسته، فما كان من اتباعه إلا أن ساروا خلفه متأثرين ومقتدين به، محققين منهجه عمليا في حياتهم، «لأنهم وجدوا في شخصية محمد ﷺ القدوة الكاملة، والمثل الأعلى في كل ما يرتبط بحياتهم الدينية والدنيوية والاجتماعية .. بل كان الذين عاينوا عصر النبي ﷺ واجتمعوا بالرسول عليه الصلاة والسلام من أقوى الذين شغفوا به إيمانا وحبا، بل لا صبر لهم إذا لم يشهدوا محياه ولا تطيب نفوسهم إذا لم تكتحل عيونهم برؤياه»[٢].

أما ما كان من ذي القرنين في تحقيقه لهذه الصفة فالأمر بين واضح ومن ذلك:

١- أنه كان قدوة لهم في تطبيق منهجه الذي أعلن عنه في شرق الأرض وغربها من محاربة الظلم وإعلاء الحق فطبق ذلك كما بينت الآيات في قوله الله سبحانه ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾[٣]، فقد أحاط الله بعلمه بمجال ذي القرنين من تطبيقه للمنهج في شرق الأرض كما طبقه في غربها.

٢- كذلك كان قدوة في إحقاق الحق وإبطال الباطل بين السدين، فدفع أذى يأجوج ومأجوج عن الناس بالردم عليهم، وقد اقتدى به أتباعه في البناء إذ كان يشارك في البناء والتخطيط، ويدل على ذلك قول الله سبحانه على لسان ذي القرنين: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ

---

(١) أحمد، المسند، رقم: ٢٤٧٧٤.

(٢) علوان، عبد الله ناصح: تربية الأولاد في الإسلام، ج:٢، ص:٦٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٩١.

﴿قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ۝٩٦﴾[١].

فالضمائر في الآية توضح كيف كان يشارك عمليا في البناء كما في كلمة: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ﴾ وكذلك ﴿ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا ۝٩٦﴾ فكان قائدا قدوة لأتباعه فأتم بناء الردم، واستطاع أن يصل بأتباعه إلى الهدف.

٣- كذلك كان قدوة لهم في الإيمان، من خلال بث الروح الإيمانية التي كان يتأثر بها، فيؤثر في غيره، كما في خطابه في نهاية قصته ﴿قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ۝٩٨﴾[٢].

رابعا: المبادرة:

«من الأسس الضرورية واللازمة للإدارة الناجحة أن يكون المسؤول قويا إذا عزم الإقدام على تنفيذ ما يجب تنفيذه فلا يكون ضعيفا ولا مترددا، لأنه بالضعف والتردد تفوت مصالح كثيرة وبالقوة والعزم يجتاز المسؤول العقبات ويحطم المعوقات ويجتهد في بلوغ الغاية وتحقيق المصلحة»[٣]، وقد مثل ذو القرنين مبادرة القائد الناجح خير تمثيل، فهو ابتداء بادر بالخروج بعد أن عزم عليه إلى مناطق حكمه، في الشرق والغرب، كي يحقق الخير ويصل إلى هدفه ومبتغاه.

وتلحظ المبادرة كذلك في بناء الردم، فبعد أن وعى المشكلة التي كان يعيشها القوم، بادر إلى إيجاد حل عملي لهم، فبدأ ببناء الردم الذي حماهم من تلك الهجمات.

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٨.

(٣) رقيط، محمد حسن: المسؤولية الإدارية في الإسلام، ص:٢٥.

فبالمبادرة يحقق القائد النجاح، لأنه يصل إلى الإنتاجية وتحقيق الغاية والهدف، كما أن المبادرة تعمل على استنهاض همم الأتباع نحو العمل، فعندما يرى المقودون أن القائد يرفع شعارا، ثم ما يلبث أن يتحرك مبادرا نحو تحقيق هذا الشعار عمليا حتى يندفعوا خلفه عاملين منتجين.

وإذا استطاع المربون الإسلاميون أن يكونوا مبادرين إلى العمل، فإن هذا الحس سينتقل إلى من يربون لتمتزج هذه الصفة بهم فيصلون إلى القدرة على الإنتاجية الإيجابية المطلوبة منهم.

خامسا: الحزم والقوة:

إذ إن «شخصية القيادي تعتمد على الشجاعة والثبات والإقدام، والنجدة وإصدار الأوامر والأحكام، فإن القيادي الفذ ما كان حكيما قويا شجاعا عند الحرب والدفاع عن الأمة والوطن»(١) أما القائد الضعيف فلا يعدو أن يوصف بالفشل وعدم القدرة على القيادة، وإن قلنا أن القيادة والحزم والقوة عناصر مترابطة فإننا لا نبالغ في ذلك.

والقوة المنتظرة في القائد متعددة متنوعة، منها كما بينتها الآيات:

١ - القوة في اتخاذ القرار. ومن ذلك قول الله سبحانه عند وصول ذي القرنين إلى الغرب: ﴿قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾(٢) فكان قراره حازما قويا عادلا وهو: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً

---

(١) الدحدوح، سلمان نصيف: القيادة أو صفات القائد الناجح، ص:٣٢.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

ﭐﻟۡﺤُﺴۡﻨَﻰٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا﴿٨٨﴾[١] دون أن يكون في قراره تردد، اتخذ موقفا واضحا من القوم الذين دخل بلادهم فاتحا منتصرا.

٢- القوة في العقوبة وإصدار الأحكام: كما أظهرت الآيات في قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾[٢]، فهذا موقف قوي وقرار حكيم: إيقاع العقوبة على المعتدي الظالم، ولعل مثل هذه القرارات بحاجة إلى قوة بالغة، خاصة إن كان الظلمة أصحاب سلطة وجاه، لكن القائد الحكيم القوي لا يخشى في الله لومة لائم.

٣- القوة في النجدة: من ذلك ما كان منه بين السدين عندما استخدم قوته منجدا أولئك القوم من اعتداء يأجوج ومأجوج عليهم.

٤- قوة الإرادة: «التي تعد ركنا من أركان الشخصية القيادية والتي بها تذلل الصعاب، وبها تحل المشكلات، وبها تجتاز العقبات»[٣] ويلحظ هذا في مواقع مختلفة من قصة ذي القرنين منها:

- الرحلات، والتي تحتاج إلى قوة إرادة التي لولاها لما وصل إلى أطراف الأرض محققا هدفه.

- بناء الردم الذي استمر زمنا، وما كان ليكون لولا توفيق الله، وقوة إرادة ذي القرنين التي كانت تشع منه دافعة أتباعه إلى إتمام ذلك العمل.

إذا فالقوة بكافة أشكالها أهم ما يطالب القائد أن يتصف به، وأن يسعى

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٧ ٨٨.

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٧.

(٣) يكن، فتحي: مشكلات الدعوة والداعية، ص:٨٠.

التربويون إلى إيجاده في نفوس من يربون. قال سبحانه موجها إيانا نحو هذا المعنى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1].

سادسا: الرحمة مع رعيته:

فلا بد كي يستمر حب الرعية للقائد أن يشعرهم بالعطف والرحمة في تعامله معهم، فالفظاظة والبطر لا يجلبان على القائد إلا الكره والحقد الذي يملأ قلوب المقودين، مما يؤدي إلى الضعف في الطاعة وفي التحرك الصحيح نحو الهدف.

ولا تعارض -عند القائد الناجح- بين القوة والرحمة، بل إن الرحمة مظهر من مظاهر قوة القائد، وقدرته الفائقة على التعامل مع جميع الأفراد كل حسب ما يناسبه، ومن جهة أخرى تعتبر دليلا على ثقته بنفسه.

وهذا ما كان من ذي القرنين عندما طبق العدل في الغرب وفي الشرق، فالناظر في كلامه، والذي سطرته الآيات في قول الله على لسانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[2] يشعر بقوته في تطبيق هذه الخاصية من الرحمة بمن يستحقها. «فلم تخرجه قوته إلى البطر، بل كانت قوته في خدمة دين الله ودعوته، وكانت سببا في رحمته وشفقته برعيته المؤمنة»[3]، فبالرغم من انتصاراته وفتوحاته للبلاد، قد

---

(١) سورة الأنفال، الآية: (٦٠).

(٢) سورة الكهف، الآية: ٨٨.

(٣) حوى، سعيد: الأساس في التفسير، جـ٦، ص٣٢٢٥.

عامل أهل تلك البلاد بما يستحقون من تعذيب للظلمة، ورحمة ورأفة للمحسنين.

ومن المظاهر العملية للرحمة من قبل القائد، تقديم العون وإبعاد الضرر عن الأمة، وهذا ما كان من ذي القرنين ببنائه الردم على يأجوج ومأجوج، مانعا إياهم من أن يعيثوا فسادا في القوم القاطنين بين السدين رحمة بهم ورفعا للضرر عنهم.

ولا بد أن نعلم أن رحمة القائد هي دليل إيمانه، لأنها مستمدة من رحمة الله سبحانه، فهو يشعر بعظيم رحمة الله، فيكون لهذا الشعور أثر عملي في حياته فيعامل رعيته بكل أشكال الرحمة، ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾[1]، وقد وصف الله سبحانه نبيه ﷺ، قائدنا ومربينا بهذه الصفة في أكثر من موقع فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[2].

سابعا: التواضع:

فلا يتكبر في معاملته مع رعيته، ولا يشعرهم بذلك، بل يجب أن يكون قدوة لهم في خفض الجناح للصالح منهم، وقد نبه الله سبحانه في العديد من الآيات على وجوب تحلي المسؤول بهذه الصفة، منها قوله سبحانه لمحمد ﷺ القائد الأول للمسلمين: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[3]، وقوله سبحانه للمؤمنين موجها إياهم نحو هذه الخاصية بنهيهم عن التكبر

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٩٨.

(٢) سورة التوبة، الآية: (١٢٨).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

والبحث عن العلو: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[١]، فكانت حياة النبي ﷺ، ومن جاء بعده من القادة من صحابته رضي الله عنهم مثالا يحتذى به في التواضع والبعد عن التكبر.

«وعلى الرغم من أن صفة التواضع في دلالاتها الظاهرية، تعني الخشوع ونبذ هيبة العظمة، إلا أنها لا تنم إلا عن صورة رائعة لعظمة القائد وقوة شخصيته، وعمق جذور الهالة القيادية التي يتمتع بها شخص ذلك القائد المتصف بمثل هذه الصفة»[٢].

أما القائد المتكبر فلا يخفى على أحد أنه «يستجلب كراهية الناس له ونفورهم منه وعدم تنفيذ أوامره إلا بإكراه، وفي هذا ما فيه من التباغض والشقاق والتربص وعدم الاستقرار والأمان بين المسؤول ومن يتعامل معهم»[٣].

وإن عدنا إلى آيات سورة الكهف ونظرنا إلى حديثها عن هذه الصفة في ذي القرنين، نجد أنها قد بينت هذه الصفة بدقة، من حيث وجودها فيه، وكذلك تأثيره التربوي في غيره في إيجاد هذه الصفة في رعيته وأتباعه ومن ذلك:

أنه بعد بنائه الردم على يأجوج ومأجوج توجه إلى الله بالشكر وبيان الفضل متواضعا متذللا بين يديه، «فلم يأخذه البطر والغرور، ولم تسكره

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) التميمي، محمد تيسير: موضوعات في فن القيادة، ص٨٨.

(٣) رقيط، حسن: المسؤولية الإدارية في الإسلام، ص٢٠.

نشوة القوة والعلم، ولكنه ذكر الله فشكره، ورد إليه العمل الصالح الذي وفقه إليه، وتبرأ من قوته إلى قوة الله، وفوض إليه الأمر، وأعلن ما يؤمن به من أن الجبال والحواجز والسدود ستدك قبل يوم القيامة، فتعود الأرض سطحا أجرد مستويا»(١) فياله من تواضع تربوي مؤثر، ويالها من صفة قيادية رائعة.

ثامنا: الزهد فيما عند الرعية:

والزهد بين واضح في الآيات كصفة تميز بها ذو القرنين، «الذي زهد في المال واستعلى عليه، مقدما لنا صفة من صفات الحاكم الصالح العادل الزاهد، وهو يدعو حكام المسلمين ليقتدوا به في هذه الصفة»(٢)، فقد قال سبحانه واصفا زهده: ﴿قَالُواْ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾(٣)، فقد عرض عليه هؤلاء القوم مالا كي يبني لهم سدا يحميهم من تلك الهجمات الوحشية، وقد كانوا في حالة شدة يقدمون لأجلها كل ما يطلبه ذو القرنين، لكنه وهو القائد المؤمن صاحب الصفات علم أن هذا واجب عليه وليست منة منه عليهم، فالقائد مسؤول عن أحوال رعيته، فلم يستغل ظرفهم ليجمع ما معهم ويطلب منهم ما يشاء لمساعدتهم، بل زهد بما عندهم، وبين أنه غير محتاج لما معهم من مال، وأن ما آتاه الله من التمكين وأسبابه خير له مما معهم.

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج:٤ن ص٢٢٩٣.
(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص:٣٣٩.
(٣) سورة الكهف، الآيات: ٩٤ ٩٥.

فالقائد المسلم مطالب بأن يتحلى بهذه الصفات من: إيمان يصله بالله، وعلم يمكنه من الإدارة الناجحة، وحكمه تهيؤه من اتخاذ القرار المناسب، وأن يكون قدوة لأتباعه ليستمر الإعمار والبناء، وأن يزهد عما في أيديهم ليبقى الود والحب والاحترام والطاعة، وأن يريهم من نفسه تواضعا عاليا لترتفع مكانته في أعينهم، وأن يعاملهم برحمة، وأن لا يستخدم القسوة إلا مع من يستحقها، وأن يظهر قوته وقدرته الإيجابية في شتى المواقع والميادين، وأن يكون مبادرا للإنتاج.

مهام القائد:

بينت الآيات الكريمة عدة مهام يطلب من القائد القيام بها على أحسن وجه، منها:

أولا: إقامة الشرع:

وهذه من أهم المهام والأهداف التي يجب على القائد أن يحققها وأن يصل برعيته إليها، إذ إن كل قائد يحمل مبدأ ويسعى إلى تحقيقه وتطبيقه، والقائد المسلم يحمل مبدأ ربانيا وعليه أن يطبقه وأن يحمل غيره على ذلك بالطرق والأساليب المتعددة، ومن أبرز ميزات هذا المبدأ الرباني العدل بين الأفراد، وربط قلوبهم بالله، فالعدل سبب الرضا والحب والأمان، وربط القلب بالله سبب في الانضباط السلوكي والوجداني، وهذه مما يسعى كل نظام لإيجادها في رعيته؛ الشعور بالأمان والحب والرضا، وضبط السلوك والمشاعر على الخير والبعد عن الشر.

وقد احتوت الآيات على العديد من الأدلة التي تظهر لنا مدى اهتمام ذي القرنين وتحقيقه لهذه المهمة، ومنها:

١- قول الله سبحانه له ﴿وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾[١] «بالإرشاد وتعليم الشرائع»[٢] لهم.

٢- في قول الله سبحانه على لسان ذي القرنين ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾[٣] واصفا بذلك حاله مع من ظلم، بإيقاع العقوبة عليه «إشارة إلى أنه سيدعوه إلى الإيمان، فإن أصر على الكفر يعذبه وهذا واضح من استجلاب حرف الاستقبال «الفاء» في الآية»[٤]، فهدفه إقامة الشرع بالدعوة إلى الإيمان.

٣- وفي قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾[٥] تطبيق لمبدأ العدل الذي يعتبر من أهم ركائز ديننا وشرعنا، والقائد مطالب ببثه بين رعيته، فيجب أن يكون العدل دستور الحاكم الصالح.

والملاحظ أن ذا القرنين بالرغم من أنه قدر على أعدائه، لكنه «لم تأخذه لذة السلطة ولم يسوقهم بعصا الإذلال، وتجرعهم غصص الاستعباد والنكال، بل عامل المحسن بإحسانه والمسيء بقدر إساءته ليصل بالتالي إلى تحقيق العدل بينهم»[٦].

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٨٦.

(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج:٢، ص:١٢.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٧.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ج١٦، ص:٢٧. بتصرف يسير.

(٥) سورة الكهف، الآيات: ٨٧ - ٨٨.

(٦) يوسف، محمد خير رمضان: ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، ص٢٨١.

فالعدل أساس الحكم والقيادة، وأهم الواجبات التي يطلب من القائد نشرها أثناء تطبيقه للشرع، «لأن أي إنسان تذوب فيه همة العدل، تذوب فيه كل صفات القيادة الناجحة على أقل تقدير، أو لنقل: إنه -إن فقد هذه الصفة- لابد له وأن يفقد قسطا كبيرا من الراحة النفسية والجسدية، ..ذلك لأن من هاتين الصفتين -المساواة والعدل- ينبع أكبر حجم من تحقيق أهداف القيادة»[1].

٤- بثه لمعاني إيمانية كان منها:

أ- قوله ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ﴾[2]، ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3] مذكرا من خلال هذه الأقوال بالبعث والنشور والحشر،، مربيا رعيته في ظلال الترغيب بالجنة والترهيب من النار، وهذه من المعاني التي تزيد وترفع من الشعور الإيماني عند الإنسان لينضبط سلوكه على ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

ب- قوله بعد إتمام بناء الردم: ﴿قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾[4]، فقد ذكر بقوة الله وقدرته ورحمته، وأن الردم ما كان ليكون لولا إرادة الله، وهذا من أهم المعاني الإيمانية التي يطلب من القادة بثها في النفوس، فكل أمر بيد الله، وما على الناس إلا التوكل والأخذ بالأسباب، ثم عمل على تذكير الناس «بالدور

(١) التميمي، محمد تيسير: موضوعات في فن القيادة، ص:٤٠.
(٢) سورة الكهف، الآية (٨٧).
(٣) سورة الكهف، الآية (٨٨).
(٤) سورة الكهف، الآية (٩٨).

الأخروي، وانقضاء هذا الطور الأولي، لتبقى النفوس طامحة إلى ذلك العالم الباقي والنعيم السرمدي»[١].

ثانيا: الاهتمام بأحوال الرعية

فلا يتصور أن يكون قائدا مسلما فعالا، دون أن يكون متميزا في خدمة رعيته والاهتمام بأحوالهم وسد حاجتهم وتقوية شوكتهم، والسهر على راحتهم. كيف لا وهو ينشأ على أن كل مسؤول محاسب عن رعيته أمام الله.

وقد تناولت الآيات في سورة الكهف قيام ذي القرنين بهذه المهمة في عدد منها، كقوله:

١- ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾[٢] بعد أن طلب منه القوم مساعدتهم، «ففي هذه الآية دليل على أن الملك فرض عليه أن يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجتهم، وإصلاح ثغورهم»[٣]، فإن شعرت الرعية، بأن هذا القائد حريص عليهم، ويهتم بأمور حياتهم، فإن ذلك من شأنه أن يقوي الأواصر بينه وبينهم، وتعزز الثقة بينهم، ويستمر تجديد العهد والولاء والإخلاص، ليستمر الإعمار، ويزدهر الوطن.

٢- وفي قوله: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦﴾[٤].

دليل آخر على اهتمام ذي القرنين بأحوال الرعية، وهذه المرة من خلال

---

(١) يوسف، محمد خير رمضان: ذو القرنين القائد الفاتح، والحاكم الصالح، ص٢٨٢.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٩٥.
(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري: الجامع لأحكام القرآن، ج:١١، ص٦٠.
(٤) سورة الكهف، الآية: ٩٦.

مظهر عملي، هو: المشاركة بنفسه في الإعمار، «فقد شاطر العمال في الأعمال، وشاركهم بنفسه، تنشيطا لهمتهم وتجرئة لهم وترويحا لقلوبهم»[١].

ثالثا: تنشيط الهمم واستثمار الطاقات في الإنتاج:

«إن المجتمع المتكامل الناجح، هو الذي تجتمع كافة القوى والطاقات فيه، لتحقيق الخير فيه. وإن القيادة الناجحة الواعية هي التي تستقطب كافة الإمكانيات والقدرات لتحقيق الغايات المنشودة»[٢]، من أجل الوصول بالمجتمع إلى أعلى الدرجات.

وتعد قدرة القائد على اكتشاف الخامات، وتطويرها ورفع هممها وتنشيطها وتوجيهها نحو زيادة العطاء والإنتاج، من أهم ما يميز القائد الناجح في مهمته القيادية، بعكس القائد الذي يعتمد في الوصول إلى تحقيق الأهداف على ذاته، فلا يستطيع أن يستثمر أتباعه وقدراتهم، وربما لا يعلم بتلك القدرات، فلا يثق إلا بنفسه ولا يوكل العمل إلا لذاته، فهذا الصنف من القادة سرعان ما يفشلون وتتراجع همتهم، ولا يشعر الاتباع بالرضى عن هذا الصنف القيادي، فالقائد الناجح مدير، يدير الطاقات وينشط الهمم، وقد تكون المشاركة في الإعمار من أهم صور تنشيط الهمم، إذ يقتدي الجميع به فينطلقون ساعين لهدفهم ومبتغاهم، وهذا ما كان من ذي القرنين، فقد نشط الهمم بمشاركته في الإعمار، واستثمر الطاقات التي كانت معطلة فأنتج معهم ردما كبيرا على عدوهم يأجوج ومأجوج، وهذا يبن

---

(١) القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، ج:١١، ص:٤١٠٥.

(٢) الخالدي، صلاح عبد الفتاح: مع قصص السابقين في القرآن، ص:٣٤١.

واضح في قوله: ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾[1]، مستثمرا تلك الطاقات القوية المعطلة، متجها بها نحو الإنتاج.

(١) سورة الكهف، الآية: (٩٥).

قائمة المصادر والمراجع

• ابن جزي، محمد بن أحمد: كتاب التسهيل لعلوم التنزيل. دار الفكر. د.ط، د.ت.

• ابن جماعة الكناني، ت: ٧٣٣، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، دار الكتب العلمية-بيروت. د.ط، د.ت.

• ابن حنبل، أحمد، المسند، إشراف: د. سمير طه المجذوب، إعداد: علي حسن الطويل، وسمير حسين غاوي، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط:١، ١٩٩٣.

• ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد: فتح الباري، تحقيق ومراجعة: الشيخ عبد العزيز بن باز، دار الفكر، ط: ١، ١٩٩٣.

• ابن سورة، أبو عيسى محمد بن عيسى، ت: ٢٠٩: الجامع الصحيح «سنن الترمذي»، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٧.

• ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤. د.ط.

• ابن عبد البر، يوسف، ت ٤٦٣هـ: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط٢، ١٩٩٦.

• ابن كثير، إسماعيل القرشي الدمشقي، ت: ٧٧٤هـ: تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية. د.ط، د.ت.

• أبو بكر، الآجري، ت: ٣٦٠هـ: أخلاق العلماء، تعليق وتخريج: د. فاروق حمادة، دار الثقافة، المغرب، ط: ٢، ١٩٨٤.

• البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، ت: ٢٥٦هـ: **الجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، النسخة السلطانية. د.ط، د.ت

• البغدادي، محمود الألوسي، ت: ١٢٧٠هـ: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط: ٢. د.ت.

• البهي، محمد: **التفسير الموضوعي للقرآن الكريم**، تفسير سورة الكهف، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، ط:١، ١٩٧٧.

• البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت: ٧٩١هـ: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط:٢، ١٩٥٥.

• التميمي، محمد تيسير: **موضوعات في فن القيادة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٩٢.

• حوى، سعيد: **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ط:١، ١٩٨٥.

• الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **مع قصص السابقين في القرآن الكريم**، دار القلم دمشق، ط:١، ١٩٨٩.

• الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، ت: ٤٦٣هـ: **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، خرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:١، ١٩٩٦.

• الخطيب، عبد الكريم: **القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه**، دار المعرفة، بيروت. د.ط، د.ت.

• الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن: سنن الدارمي، تحقيق الدكتور: مصطفى ديب البغا، دار القلم، دمشق، ط:٢، ١٩٩٦.

• دحدوح، سلمان نصيف: **القيادة أو صفات القائد الناجح**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨.

• الرازي، الفخر: **التفسير الكبير**، دار الكتب العلمية، طهران، ط:٢. د.ت.

• رقيط، محمد حسين: **المسؤولية الإدارية في الإسلام**، دار ابن حزم- بيروت، المكتبة الحديثة-الإمارات، ط:١، ١٩٩٦.

• السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، ت: ٢٧٥ه: **سنن أبي داود**، دراسة وفهرسة: كمال الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، ط:١، ١٩٨٨.

• الزمخشري، محمود بن عمر، ت: ٥٣٨: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار المعرفة، بيروت. د.ط، د.ت.

• عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، ت: ٦٦٠ه: **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الجامعية-القاهرة، ١٩٦٨. د.ط.

• الشافعي، محمد بن إدريس، ت: ٢٠٤ه: **ديوان الشافعي**، تحقيق: د. محمد عبد المنعم الخفاجي، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة. د.ط، د.ت.

• الطالب، هشام: **دليل التدريب القيادي**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥. د.ط.

• الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، ت: ٣١٠ه: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط: ٣، ١٩٦٨.

• عباس، فضل حسن: **القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته**، دار الفرقان، ط: ١، ١٩٨٧.

• عتر، نور الدين: **منهج النقد في علوم الحديث**، دار الفكر-سورية، ط:٣، ١٩٩٢.

• علوان، عبد الله ناجح: **تربية الأولاد في الإسلام**، دار السلام، ط: ٩، ١٩٨٥.

• الغزالي، أبو حامد: **إحياء علوم الدين**، دار الخير-دمشق، ط: ٤، ١٩٩٧.

• فرحان، إسحق أحمد: **مشكلات الشباب في ضوء الإسلام**، دار الفرقان-عمان، ط:٦، ١٩٨٧.

• فضل الله، محمد حسين: **الحوار في القرآن الكريم**، الدار الإسلامية، ط: ١، ١٩٧٩.

• القاسمي، محمد جمال الدين، ت: ١٣٣٢هـ: **محاسن التأويل**، رقمه وخرج آياته وأحاديثه وعلق عليه: محمود فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. د.ط، د.ت.

• القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري: **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العربي-القاهرة، ط:٣، ١٩٦٧.

• القزويني، أبو عبد الله محمد بن يزيد، ت: ٢٧٣هـ، **سنن ابن ماجه**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث. د.ط، د.ت .

• القطان، أحمد عبد العزيز. ومهلهل، جاسم بن محمد: **ذاتية المؤمن طريق النماء**، دار الدعوة-الكويت. ودار الوفاء المنصورة، ط: ٣، ١٩٩٢.

• قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق - القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٩٩٢.

• قطب، سيد: معالم في الطريق، دار الشروق، ط: ٦، ١٩٧٩.

• قطب، محمد: منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط: ٧، ١٩٨٣.

• الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، ت: ٤٥٠هـ: أدب الدنيا والدين، حققه: مصطفى السقا، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٥٥.

• مسلم، مصطفى: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم-دمشق، ط: ٢، ١٩٩٧.

• مغنية، محمد جواد: التفسير الكاشف، دار العلم للملايين-بيروت، ط: ٣، ١٩٨١.

• الندوي، أبو الحسن علي الحسني: الصراع بين الإيمان والمادية "تأملات في سورة الكهف"، دار القلم-دمشق. والدار الشامية-بيروت، ط: ١، ١٩٩٧.

• النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود: تفسير النسفي، دار الكتاب العربي-بيروت. د.ط، د.ت

• نقرة، التهامي: سيكولوجية القصة في القرآن، الدار التونسية للتوزيع، ١٩٧٤.

• النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، ت: ٦٧٦هـ: صحيح مسلم بشرح النووي، تقديم د. وهبة الزحيلي، إعداد علي عبد الحميد بلطة جي، دار الخير، ط: ١، ١٩٩٤.

• النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، ت: ٦٧٦هـ: يحيى بن شرف: **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر. د.ط، د.ت.

• هارون، عبد السلام. ومصطفى، إبراهيم. والزيات، أحمد حسن. وعبد القادر، حامد. والنجار، محمد علي، **المعجم الوسيط**، دار إحياء التراث. د.ط، د.ت .

• الوكيلي، محمد: **فقه الأولويات دراسة في الضوابط**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط: ١، ١٩٩٧.

• ياسين، محمد نعيم: **الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقصه**، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان-الأردن، ط: ٥، ١٩٨٧.

• يكن، فتحي: **مشكلات الدعوة والداعية**، مؤسسة الرسالة-بيروت، ط: ٢، ١٩٨٥.

• يوسف، محمد خير رمضان: **ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح**، دار القلم-دمشق. والدار الشامية-بيروت، ط:٢، ١٩٩٩.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة